

جمهورية مصر العربية

وزارة الأوقاف

الكمال والجمال
في القرآن الكريم

إعداد

أ.د/ محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وعضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ
مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾

(هود : ١)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمــــــة

الحمد لله أهل الحمد أهل الثناء والمجد ، القائل في كتابه العزيز : {الْحَمْدُ لله الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا}، والقائل سبحانه : { إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا }، والقائل (عز وجل) : { وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} ، والقائل (جل في عُلاه) : { فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ}، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين ..

وبعد :

فالقرآن الكريم كتاب نور ، وكتاب هداية ، وكتاب رحمة ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن تمسك به هُدِيَ إلى صراط مستقيم ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ الله وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ).

وهو أعلى درجات البلاغة والفصاحة والبيان ، يتدفق الإعجاز من جميع جوانبه تدفقًا لا شاطئ له ، فهو الذي يهجم عليك الحسن منه دفعة واحدةً ، فلا تدري أجاءك الحسن من جهة لفظه أم من جهة معناه ، إذ لا تكاد الألفاظ تصل إلى الآذان حتى تكون المعاني قد وصلت إلى القلوب.

فكل لفظة أو كلمة في القرآن الكريم قد وقعت موقعها حيث هي مقصودة لذاتها ، لا يسد مسدها سواها لا من المترادفات عند القدماء، ولا من حقول الاستبدال الرأسي أو الأفقي عند المحدثين ، وما ذكر في القرآن الكريم كان مقصودًا لذاته لا يقوم الحذف مقامه ، وما حُذف كان حذفه في موضعه أبلغ من الذكر .

وهو أحسن القصص ، حيث يقول الحق سبحانه مخاطبًا نبيه (صلى الله عليه وسلم) : { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ}، وهو أحسن الحديث، حيث يقول جلّ وعلا : {الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا}.

هذا وقد رفع الله (عز وجل) أهل القرآن إلى أعلى المراتب ، فهم أهل الله وخاصته، وتجارتهم لا تبور ولن تبور، حيث يقول سبحانه: { إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ الله وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ}.

وفي هذا الكتاب نحاول أن نقف على بعض وجوه الكمال والجمال المعنوي في القرآن الكريم ، وعلى بعض وجوه البلاغة والبيان في هذا الكتاب العظيم ، مع إبراز دلالات أسماء بعض سوره ، وذكر بعض الأحاديث

النبوية الشريفة وأقوال بعض أهل العلم والذكر في فضائله وفضائل أهله وحفظته ، سائلين الله (عز وجل) أن يجعلنا من أهل القرآن ، وأن يجعله حجة لنا لا علينا ، وأن يعلمنا منه ما جهلنا، وأن يذكرنا منه ما نُسيِّنا ، وأن يجعله شفيعًا لنا يوم الزحام ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ،،،

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
عضو مجمع البحوث الإسلامية

المبحث الأول
أهـل القـــــرآن

أهل القرآن هم أهل الله وخاصته ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ لله أَهْلِينَ مِن النَّاسِ) ، قَالُوا : يَا رَسُولَ الله مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : (هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ ، أَهْلُ الله وَخَاصَّتُهُ)[1].

والقرآن هو كلام الله تعالى ، المنزل على رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) ، المتعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر سورة منه ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، لا يشبع منه العلماء ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يَخْلَقُ عن كثرة الردّ ، يقول الحق سبحانه : {إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}[2] ، ويقول (عز وجل) : { الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ الله ذَلِكَ هُدَى الله يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ الله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }[3] .

---

(١) سنن ابن ماجه ، المقدمة ، بَاب فَضْلِ من تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، حديث رقم ٢١٥، ومسند أحمد، ج ٣ / ص ١٢٧ ، حديث رقم ١٢٣٠١ ، والمستدرك على الصحيحين ، كتاب فضائل القرآن ، أخبار في فضائل القرآن جملة ، حديث رقم ٢٠٤٦.

(٢) الإسراء: ٩ .

(٣) الزمر: ٢٣ .

والقرآن الكريم كتاب هداية ، حيث يقول الحق سبحانه : { الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}[1] ، وهو كتاب رحمة وشفاء ، حيث يقول سبحانه: { وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا }[2] ، وهو نور يهدي به الله من يشاء من عباده ، حيث يقول الحق (عز وجل) : { وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاء}[3]، لم تلبث الجن إذ سمعته أن قالوا : { إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا }[4].

وعندما سمع (الأصمعي) امرأة بليغة فصيحة فأعجب ببلاغتها وفصاحتها ، فقال لها : ما أفصحك وما أبلغك !! فأجابته : أي فصاحة وأي بلاغة إلى جانب فصاحة وبلاغة كتاب الله (عز وجل) ، لقد جمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين ، وذلك حيث يقول الحق سبحانه: { وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ }[5]،[6].

---

(١) البقرة: ١-٢ .

(٢) الإسراء: ٨٢ .

(٣) الشورى: ٥٢.

(٤) الجن: ١ – ٢ .

(٥) القصص: ٧ .

(٦) إثبات نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) للإمام أبي العباس ضياء الدين أحمد بن عمر الأنصاري الأندلسي القرطبي، ص ١١٣ ، تحقيق: أحمد آيات بلعيد، ط: دار الكتب العلمية.

أما إكرام الإسلام لأهل القرآن فحدث عنه ولا حرج ، فهذا نبينا (صلى الله عليه وسلم) يضرب أعظم المثل في بيان إكرام الله لأهل القرآن ، فقد قال يومًا لسيدنا أُبيّ بن كعب (رضي الله عنه) : (إِنَّ الله أَمَرَنِي أَنْ أُقْرِئَكَ الْقُرْآنَ) قَالَ: آلله سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: (نَعَمْ) قَالَ : وَقَدْ ذُكِرْتُ عِنْدَ رَبِّ العَالَمِينَ؟ قَالَ: (نَعَمْ) فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ [1]، وفي رواية الطبراني : "قال أُبيّ : يا رَسُولَ الله ، وَذُكِرْتُ هُنَاكَ؟ ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (نَعَمْ بِاسْمِكَ ونَسَبِكَ فِي الْمَلأِ الْأَعْلَى) ، قَالَ: فَاقْرَأْ إِذًا يَا رَسُولَ الله"[2] .

ولما صعد سيدنا عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) يومًا نخلة في حضرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحضرة أصحابه ، وكان نحيل الجسد والساق ، فضحك بعض الحاضرين من شدة نحول ساقه ، فقال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مِمَّ تَضْحَكُونَ ؟) قَالُوا: يَا نَبِيَّ الله ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ ، فَقَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ)[3]، وكان (صلى الله عليه وسلم) يقول : (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب من انتظر حتى تدفن ، حديث رقم ٤٩٦١ ، وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة (رضي الله تعالى عنهم) ، باب من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار ، حديث رقم ٧٩٩ ، واللفظ للبخاري .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ، ج ١/ ص ٢٢٦، حديث رقم ٥٤٠ .

(٣) مسند أحمد ، ج ٧/ ص ٩٨ ، حديث رقم ٣٩٩١ ، وصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، كتاب إخباره (صلى الله عليه وسلم) عن مناقب الصحابة (رضي الله عنهم) ، حديث رقم ٧٠٦٩ .

قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ)[1]، وقال له نبينا (صلى الله عليه وسلم) يومًا : (اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ)، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ : (إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي) فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى جِئْتُ إِلى هذهِ الآيَة : {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا}قالَ: (حَسْبُكَ الآنَ) ، فالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَان [2].

وكان سيدنا سالم مولى أبي حذيفة (رضي الله عنهما) من أهل القرآن الذين قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) فيهم : (خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ : مِنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ، وَسَالِمٍ ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ) [3]، أَيْ : تَعَلَّمُوا مِنْهُمْ ، وكان أبو حذيفة (رضي الله عنه) يقول : يا أهل القرآن ، زيِّنوا القرآن بأعمالكم ، ولما حضرت سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الوفاة ، قيل له : استخلف ، فقال : وَإِنِّي جَاعِلٌ هَذَا الأَمْرَ إِلَى هَؤُلاءِ النَّفَرِ السِّتَّةِ الَّذِينَ مَاتَ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ : لَوْ أَدْرَكَنِي أَحَدُ رَجُلَيْنِ ، ثُمَّ جَعَلْتُ هَذَا الأَمْرَ إِلَيْهِ لَوَثِقْتُ بِهِ : سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ [4].

---

(١) مسند أحمد ، ج ١/ ص ٢١١ ، حديث رقم ٣٥ ، والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، كتاب إخباره (صلى الله عليه وسلم) عن مناقب الصحابة (رضي الله عنهم أجمعين)، ذِكْرُ الأَمْرِ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَلَى مَا كَانَ يَقْرَؤُهُ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ ، حديث رقم ٧٠٦٦ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، بَاب الْبُكَاءِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، حديث رقم ٤٦٦٨ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، حديث رقم ٤٩٩٩.

(٤) مسند أحمد : ج ١ ص ٢٠ ، حديث رقم ١٢٩ .

ومن إكرام الله (عز وجل) لأهل القرآن أن جعله شفيعًا لأصحابه يوم القيامة ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ الصِّيَامُ : أَيْ رَبِّ ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ : مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، قَالَ : فَيُشَفَّعَانِ)(١)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أُلْبِسَ وَالِدُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجًا ضَوؤُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدُّنْيَا وَكَانَتْ فِيهِ ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهِ) (٢).

على أن القرآن الكريم إما أن يكون حجة لنا أو حجة علينا ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ)(٣)، فالقرآن حجة لمن أعطاه حقه تلاوة وتدبرًا وعملاً بأوامره ونواهيه والتزامًا بأخلاقه ، وحجة على من ضيعه هجرًا له أو هجرًا لأخلاقه وأوامره ونواهيه ، إذ يحتم علينا الوفاء بواجبنا تجاه هذا الكتاب وإعطاءه حقه تعلمًا وتعليمًا وفهمًا ، وتأملاً وتدبرًا وعملاً .

* * *

---

(١) مسند أحمد : ج ٢ ص ١٧٤ ، حديث رقم ٦٦٢٦ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الوتر ، باب فِي ثَوَابِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، حديث رقم ١٤٥٥ ، و المستدرك على الصحيحين ، كتاب فضائل القرآن ، ذكر فضائل سور وآي متفرقة ، حديث رقم ٢٠٨٥ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء ، حديث رقم ٢٢٣ .

المبحث الثاني

ثلاثون حديثًا مختارة
في فضائل القرآن الكريم

١ – عن عَبْد الله بْن عُمَرَ (رَضِيَ الله عَنْهُمَا) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ : (لاَ حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ الله الكِتَابَ ، وَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ الله مَالًا ، فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)[1].

٢- وعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري (رَضِيَ الله عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (تَعَاهَدُوا هَذَا القُرْآنَ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ محمدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلتًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا)[2].

٣- وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ (رَضِيَ الله عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (مَثَلُ المؤمن الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ : كَالأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَالَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ : كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلاَ رِيحَ لَهَا ،

---

(١) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب اغتباط صاحب القرآن ، حديث رقم ٤٧٣٧ ، وصحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها ، حديث رقم ٨١٥ ، واللفظ للبخاري.

(٢) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب استذكار القرآن وتعاهده ، حديث رقم ٤٧٤٦ ، وصحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا وجواز قول أنسيتها ، حديث رقم ٧٩١ ، واللفظ لمسلم .

وَمَثَلُ الفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الفَاجِرِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ، وَلاَ رِيحَ لَهَا)(1).

٤- وعَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ (رَضِيَ الله عَنْهُ) قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ البَقَرَةِ ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ ، إِذْ جَالَتِ الفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ ، فَجَالَتِ الفَرَسُ ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الفَرَسُ ، ثُمَّ قَرَأَ ، فَجَالَتِ الفَرَسُ فَانْصَرَفَ ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا ، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ ، فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، حَتَّى مَا يَرَاهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : (اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ) ، قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ الله أَنْ تَطَأَ يَحْيَى ، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ المَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لاَ أَرَاهَا ، قَالَ : (وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟) ، قَالَ : لاَ ، قَالَ : (تِلْكَ المَلاَئِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لاَ تَتَوَارَى مِنْهُمْ)(2).

٥- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال لأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ : (إِنَّ الله أَمَرَنِي أَنْ أَقْـرَأَ عَلَيْكَ القُـرْآنَ) قَالَ أُبَيٌّ: آللهُ سَمَّـانِي

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب فَضْلِ الْقُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الْكَلاَمِ ، حديث رقم ٥٠٢٠ ، وصحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضيلة حافظ القرآن ، حديث رقم ١٨٩٦.

(٢) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب نُزُولِ السَّكِينَةِ وَالْمَلاَئِكَةِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، حديث رقم ٤٧٣٠ ، وصحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب نزول السكينة لقراءة القرآن ، حديث رقم ١٨٩٥ ، واللفظ للبخاري .

لَكَ؟ قَالَ : (الله سَمَّاكَ لِي) قال : " فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي "[1].

٦- وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله (رَضِيَ الله عَنْهُمَا) قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ يَقُولُ: (أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ) ، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ ، وَقَالَ: (أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلاَءِ يَوْمَ القِيَامَةِ)، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا ، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ [2].

٧- وعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ الله عَنْها) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ)[3].

٨- وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ (رَضِيَ الله عَنْهُ) قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (اقْرَأْ عَلَيَّ) ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ؟ قَالَ: (نَعَمْ) ، قَالَ : فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ:{ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا }[4]، وفي رواية :

---

(١) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب تفسير سورة {لم يكن} ، حديث رقم ٤٦٧٦ ، وصحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل، حديث رقم ٧٩٩ ، واللفظ للبخاري .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب الصلاة على الشهيد ، حديث رقم ١٢٧٨ .

(٣) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب تفسير {عَبَسَ وَتَوَلَّى} ، حديث رقم ٤٩٣٧، وصحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه ، حديث رقم ٧٩٨.

(٤) النساء : ٤١ .

أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ، قَالَ : (إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي)[1].

٩- وعَنْ عُثْمَانَ بن عفان (رَضِيَ الله عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)[2].

١٠- وعن عُمَر بن الخطاب (رَضِيَ الله عَنْهُ) أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا ، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ)[3].

١١- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ الله عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا ، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا ، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا ، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله ، يَتْلُونَ كِتَابَ الله ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر ، حديث رقم ١٩٠٥.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، بَاب خَيْرُكُمْ من تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، حديث رقم ٤٧٣٩ ، وسنن أبي داود :كتاب الصلاة ، بَاب اسْتِحْبَابِ الْوِتْرِ ، بَاب فِي ثَوَابِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، حديث رقم ١٤٥٢، وسنن الترمذي ، كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب ما جاء في تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ، حديث رقم ٢٩٠٧ ، واللفظ للبخاري .

(٣) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها و علمها ، حديث رقم ٨١٧.

الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)[1].

١٢- وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ (رَضِيَ الله عَنْهُ) قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ ، فَقَالَ : (أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ إِلَى بُطْحَانَ - أَوِ الْعَقِيقِ - فَيَأْخُذَ نَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ بِغَيْرِ إِثْمٍ بِالله عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟) ، قَالُوا: كُلُّنَا يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : (فَلَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَيَتَعَلَّمَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ الله (عَزَّ وَجَلَّ) ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ ، وَإِنْ ثَلَاثٌ فَثَلَاثٌ مِثْلُ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ) [2].

١٣- وعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ الله عَنْها) قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ ، لَهُ أَجْرَانِ)[3].

١٤- وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو (رَضِيَ الله عَنْهُما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة ، بَاب فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ على تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، حديث رقم ٢٦٩٩ ، وصحيح ابن حبان ، كتاب العلم ، ذكر تسهيل الله جل وعلا طريق الجنة على من يسلك في الدنيا طريقا يطلب فيه علمًا ، حديث رقم ٨٤ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الوتر ، بَاب في ثواب قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ وَتَعَلُّمِهِ ، حديث رقم ١٤٥٨.

(٣) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين، بَابُ فَضْلِ الْمَاهِرِ فِي الْقُرْآنِ، وَالَّذِي يَتَتَعْتَعُ فِيهِ ، حديث رقم ٧٩٨.

الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا)[1].

١٥- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ الله عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (يَجِيءُ القُرْآنُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الكَرَامَةِ ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكَرَامَةِ ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ : اقْرَأْ وَارْقَ ، وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً)[2] .

١٦- وعن عَبْد الله بْن مَسْعُودٍ (رَضِيَ الله عَنْهُ) يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، لَا أَقُولُ : (الم) حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلَامٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ)[3] .

١٧- وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ (رَضِيَ الله عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ الله إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ)[4].

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، بَاب اسْتِحْبَابِ التَّرْتِيلِ فِي الْقِرَاءَة ، حديث رقم ١٤٦٤، وسنن الترمذي ، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ مَا لَهُ مِنَ الأَجْرِ، حديث رقم ٢٩١٤.

(٢) سنن الترمذي ، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ مَا لَهُ مِنَ الأَجْرِ، حديث رقم ٢٩١٥.

(٣) سنن الترمذي ، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ مَا لَهُ مِنَ الأَجْرِ، حديث رقم ٢٩١٤.

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب فِي تَنْزِيلِ النَّاسِ مَنَازِلَهُمْ ، حديث رقم ٤٨٤٥ .

١٨- وعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ الْجُهَنِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَسُولَ الله (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أُلْبِسَ وَالِدَاهُ تَاجًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ضَوْؤُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا؟) [1].

١٩- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رَضِيَ الله عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ لله أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ) قَالُوا: يَا رَسُولَ الله ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: (هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ ، أَهْلُ الله وَخَاصَّتُهُ)[2] .

٢٠- وَعَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبر كَالرَّجُلِ الشَّاحِب ، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟، فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ، فَيَقُولُ لَهُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ ، الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الهواجر ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ ، قَالَ: فَيُعْطَى الْمُلْكَ بيَمِينِهِ ، وَالْخُلْدَ بشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا تَقُومُ لَهُمَا الدُّنْيَا ، فَيَقُولَانِ : بِمَ كُسِينَا هَذِهِ؟، فَيُقَالُ لَهُمَا : بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا ، فهو في صعود ما دام

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الوتر، باب فِي ثَوَابِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، حديث رقم ١٤٥٥، والمستدرك على الصحيحين ، كتاب فضائل القرآن ، ذكر فضائل سور وآي متفرقة ، حديث رقم ٢٠٨٥ .

(٢) سنن ابن ماجه ، المقدمة ، بَاب فَضْلِ من تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، حديث رقم ٢١٥، ومسند أحمد بن حنبل ، ج ٣ ص ١٢٧ ، حديث رقم ١٢٣٠١ .

يقرأ هذا كان أو ترتيلا " [1].

٢١- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ: (هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ ، فَسَلَّمَ ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ)[2].

٢٢- وعن النَّوَّاس بْن سَمْعَان (رضي الله عنه) قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، وَآلُ عِمْرَانَ)، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ ، قَالَ : (كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا)[3].

---

(١) سنن الدارمي ، كتاب فضائل القرآن ، باب في فضل سورة البقرة وآل عمران ، حديث رقم ٣٤٣٤.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، بَاب فَضْلِ الْفَاتِحَةِ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَالْحَثِّ عَلَى قِرَاءَةِ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ ، حديث رقم ٨٠٣ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ، حديث رقم ٨٠٥ .

٢٣- وعن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيّ (رَضِيَ الله عَنْهُ) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ : (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا ، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ) ، قَالَ مُعَاوِيَةُ : " بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ : السَّحَرَةُ"[1].

٢٤- وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ)[2] .

٢٥- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ الله عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ)[3] .

٢٦- وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ (رضي الله عنهما) ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ يَسِيرُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، وَعُمَرُ ابْنُ الخَطَّابِ (رضي الله

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ، حديث رقم ٨٠٤.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ، حديث رقم ٨٠٩ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، حديث رقم ٧٨٠ .

عنه) يَسِيرُ مَعَهُ لَيْلًا، فَسَأَلَهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عَنْ شَيْءٍ فَلَمْ يُجِبْهُ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: ثَكِلَتْ أُمُّ عُمَرَ، نَزَرْتَ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، كُلَّ ذَلِكَ لاَ يُجِيبُكَ ، قَالَ عُمَرُ : فَحَرَّكْتُ بَعِيرِي ثُمَّ تَقَدَّمْتُ أَمَامَ النَّاسِ، وَخَشِيتُ أَنْ يُنْزَلَ فِيَّ قُرْآنٌ ، فَمَا نَشِبْتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِخًا يَصْرُخُ بِي، فَقُلْتُ: لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِيَّ قُرْآنٌ ، فَجِئْتُ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ: (لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ) ، ثُمَّ قَرَأَ : " إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا "[1] [2].

٢٧- وعَن أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ الله عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِنَّ سُورَةً فِي الْقُرْآنِ ثَلاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ ، وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ)[3].

٢٨- وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خَطَبَ النَّاسَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ ، فَقَالَ : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا ، كِتَابَ الله وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ) [4] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَةِ ، حديث رقم ٤١٧٧ .

(٢) الفتح : ١ .

(٣) سنن الترمذي ، كتب فضائل القرآن ، باب فضل سورة الملك ، حديث رقم ٢٨٩١ .

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ، كِتَابُ آدَابِ الْقَاضِي ، بَابُ مَا يَقْضِي بِهِ الْقَاضِي وَيُفْتِي بِهِ الْمُفْتِي ، حديث رقم ٢٠٣٣٦ .

٢٩- وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟) ، قَالُوا : وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ : (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ)(١) .

٣٠- وعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أَنَّ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ ، فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: (سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ ؟) فَسَأَلُوهُ ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا ، فَقَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ)(٢).

❊ ❊ ❊

---

(١) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب فَضْلِ {قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ} ، حديث رقم ٥٠١٥ ، وصحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة {قل هو الله أحد} ، حديث رقم ٨١١ ، واللفظ لمسلم .

(٢) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب فَضْلِ {قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ} ، حديث رقم ٧٣٧٥ ، وصحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة قل هو الله أحد ، حديث رقم ٨١٣ ، واللفظ لمسلم .

المبحث الثالث
قالوا عن القرآن الكريم

١- ذكر أبو عمرو الداني في كتابه "البيان" بإسناده عن عثمان وابن مسعود وأبي (رضي الله عنهم) : أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يقرئهم العشـر ، فلا يجاوزونها إلى عشـر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل فيعلمنا القرآن والعمل جميعا [١].

وقال (رضي الله عنه) مخاطبًا حفظة القرآن وأهله : يا معشر القراء: ارفعوا رءوسكم ، فقد وضح لكم الطريق ، فاستبقوا الخيرات ، لا تكونوا عيالاً على الناس [٢].

٢- وقال سيدنا عثمان بن عفان ، وحذيفة بن اليمان (رضي الله عنهما) : لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن [٣].

٣- وقال سيدنا عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) : إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره [٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ج١ / ص٣٩ ، ط : دار عالم الكتب ، الرياض ، المملكة العربية السعودية.

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي ، ص ٥٤ ، تحقيق: محمد الحجار ، ط: دار ابن حزم.

(٣) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ، كتاب آداب تلاوة القرآن ، ج١ / ص ٢٧٨ ، ط : دار المعرفة ، بيروت .

(٤) غريب الحديث للقاسم بن سلام الهروي ، ج ٤/ ص ٤٨ ، ط : دار الكتاب العربي - بيروت.

وقال (رضي الله عنه) أيضا : إذا أردتم العلم فعليكم بالقرآن ، فإن فيه علم الأولين والآخرين [1].

وكان (رضي الله عنه) يقول : ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مفطرون ، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبورعه إذا الناس يخلطون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون[2].

٤- وقال عَبْد الله بْن عَمْرو بْن الْعَاصِ : "مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَدِ اسْتَدَرَجَ النُّبُوَّةَ بَيْنَ جَنْبَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يُوحَى إِلَيْهِ ، لاَ يَنْبَغِي لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ أَنْ يَجِدَّ مَعَ مَنْ حَدَّ ، وَلاَ يَجْهَلَ مَعَ مَنْ جَهِلَ وَفِي جَوْفِهِ كَلاَمُ الله تَعَالَى"[3] .

٥- وقال سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما):"جمع الله في هذا الكتاب علم الأولين والآخرين ، وعلم ما كان وعلم ما يكون ، والعلم بالخالق جل جلاله "[4].

---

(١) الزهد لعبد الله بن المبارك ، ص ٢٨٠ ، حديث رقم ٨١٤ ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، ط: دار الكتب العلمية ، بيروت ، والمعجم الكبير للطبراني ٩ / ١٤٦، حديث رقم ٨٦٦٥.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ، كتاب الزُّهْدِ ، ما قالوا فِي البكاءِ مِن خشيةِ الله ، حديث رقم ٣٦٧٣٤ ، والمجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري المالكي ، ٥/ ٤٢٨، حديث رقم ٢٣٠٠ ، تحقيق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، ط : دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ، كتاب فضائل القرآن ، باب فِي فضلِ من قرأ القرآن، حديث رقم ٣٠٥٧٣، والمستدرك على الصحيحين ، كتاب فضائل القرآن ، حديث رقم ٢٠٢٨ مرفوعًا.

(٤) جامع الأصول في أحاديث الرسول لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى : ٦٠٦هـ)، كتاب الفضائل والمناقب ، باب فضل القرآن مطلقا ، حديث رقم ٦٢٣٣ ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ، ط: مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – ومكتبة دار البيان .

٦- وقال سيدنا عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) : ".. وَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ عَنْهُ تُسْأَلُونَ ، وَبِهِ تُجْزَوْنَ ، وَكَفَى بِهِ وَاعِظًا لِمَنْ عَقِلَ"(١).

٧- وقال الفضيل بن عياض (رحمه الله) : "حَامِلُ الْقُرْآنِ حَامِلُ رَايَةِ الْإِسْلَامِ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَلْغُوَ مَعَ مَنْ يَلْغُو ، وَلَا أَنْ يَلْهُوَ مَعَ مَنْ يَلْهُو ، وَلَا يَسْهُوُ مَعَ مَنْ يَسْهُو ، وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ إِلَى الْخَلْقِ حَاجَةٌ لَا إِلَى الْخُلَفَاءِ فَمَنْ دُونَهُمْ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَوَايِجُ الْخَلْقِ إِلَيْهِ" (٢).

٨- وقال الوليد بن المغيرة ــ بعد أن سمع القرآن الكريم ــ: والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه(٣) ، والفضل ما شهدت به الأعداء .

٩- وقال الإمام السيوطي (رحمه الله) : وإن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها ، ودائرة شمسها ومطلعها ، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء، وأبان فيه كل هدي وغي ، فترى كل ذي فن منه يستمد ، وعليه يعتمد ، فالفقيه يستنبط منه الأحكام ويستخرج حكم الحلال والحرام والنحوي يبني منه قواعد إعرابه (٤).

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ، باب في حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه ، حديث رقم ٤٨٣٤ ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض .

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني ، باب ذِكْرِ طَوَائِفَ مِنْ جَمَاهِيرِ النُّسَّاكِ وَالْعُبَّادِ ، ج ٨/ ص ٩٢ ، ط : دار الكتب العلمية .

(٣) دلائل النبوة للإمام البيهقي ، جماع أبواب المبعث ، ج ٢/ ص ١٩٩ ، تحقيق الدكتور/ عبد المعطي قلعجي ، ط: دار الكتب العلمية ، ودار الريان للتراث .

(٤) الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ، ج ١/ ص ١٨ .

المبحث الرابع
سور القرآن الكريم بين الزمان والمكان : أسماء ودلالات

لا شك أن القرآن الكريم إنما هو كلام رب العالمين ، معجز كله ، وفي جميع جوانبه ، كل شيء فيه بحكمة ولحكمة ، فهو كما قال الحق سبحانه : {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ }[1] .

وفي هذا المبحث نحاول أن نلقي الضوء على دلالات أسماء بعض السور وما تحمله من معانٍ وإشاراتٍ في ألفاظه ، في تراكيبه ، في أساليبه ، في معانيه ، في أسماء سوره .

فمنها ما يرتبط بالزمن ، تأكيدًا على أهميته ، وبيانًا لقيمته ، حيث سمّى القرآن الكريم ست سور بأسماء تحمل دلالات زمنية ، هي : سورة الجمعة، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ الله وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ الله وَاذْكُرُوا الله كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[2] ، بما تحمله هذه الآيات من ضرورة التوازن بين عمل الدنيا وعمل الآخرة ، وكان سيدنا عراك بن مالك (رضي الله عنه) إذا صلى الجمعة انطلق فوقف على باب المسجد ، ثم قال :

---

(١) فصلت: ٤٠ ، ٤١.

(٢) الجمعة: ٩ ، ١٠.

اللهم إني قد أجبت دعوتك ، وأديت فريضتك ، وانتشـــرت كـما أمرتنـي ، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين [1].

وسورة الفجر التي يقول الحق سبحانه وتعالى في مفتتحها : { وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ }[2] ، فمع أن القَسَم استهل بوقت الفجر الذي سميت السورة باسمه فإنه قد تضمن وحدات زمنية أخرى : " وَلَيَالٍ عَشْرٍ " ، " وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ "، ثم يختتم القسم بقوله تعالى : { هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ } أي لذي عقل أو لبّ يدرك معنى هذا القَسَم ، ثم أتبع القَسَم بما يدعو إلى التأمل العميق في أحوال من مضى من الأمم السابقة ؛ من عاد وثمود وفرعون ، فقال سبحانه: { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ}[3] .

ويأتي بعد "سورة الفجر" من حيث ترتيب سور القرآن الكريم من السور التي سميت بأسماء ذات دلالات زمنية ، "سورة الليل" التي استهلت بقوله تعالى : { وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، تفسير سورة الجمعة ، ج ١٨ / ص ١٠٩ ، ط: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية .

(٢) الفجر:١ – ٥ .

(٣) الليل : ١ – ٧ .

الذَّكَرَ وَالأُنثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى"}[1]، ثم تأتي بعدها "سورة الضحى" ، مستهلة بقوله تعالى: { وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}[2] ، ثم "سورة القدر" ، حيث يقول سبحانه وتعالى : {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ }[3] ، ثم سورة العصر ، حيث يقول الحق سبحانه: { وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ }[4].

ولا شك أن تسمية ست سور من سور القرآن الكريم بأسماء أوقات أزمنة : الجمعة ، والفجر ، والليل ، والضحى ، والقدر ، والعصر ، لهو دليل على أهمية الزمن ، ولفتٌ واضحٌ للنظر إلى ضرورة استثماره الاستثمار النافع والأمثل ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ : الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ)[5]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ

---

(١) الفجر: ١ – ٦ .

(٢) الضحى: ١ – ٣ .

(٣) القدر: ١ – ٥ .

(٤) العصر: ١ – ٣ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الرقائق ، باب مَا جَاءَ فِي الرِّقَاقِ وَأَنْ لاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ ، حديث رقم٦٤١٢ .

تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ؟)[1].

وإذا تحدثنا عن السور التي سميت بأسماءٍ ذات دلالاتٍ زمنيةٍ ؛ فمن المنطق أن نتبع بالسور التي سميت بأسماء ذات دلالات مكانية مما هو معروف في دنيا الناس متصل بحياتهم ، وهي على الترتيب : " الحجر ، والكهف ، والأحقاف ، والحجرات ، والطور ، والبلد " ، ولكلٍّ دلالتها ، غير أن أول ما يلفت النظر هو هذا التكافؤ الزماني المكاني ، حيث إن السور التي سميت بأسماء ذات دلالات زمانية ست سور ؛ وفي مقابلها ست سور أخرى مسماة بأسماء ذات دلالات مكانية ؛ للتأكيد على أهمية المكان ، وأهمية الجغرافيا ، وهو ما جعل العلماء والفقهاء يؤكدون على أهمية مراعاة طبيعة وخصوصية الزمان والمكان ، فقرروا أن الفتوى قد تتغَيَّر أو تتطلب تغييرًا باختلاف الزمانِ أو المكان ، مراعاة لخصوصيتهما أو خصوصية أي منهما.

ثم إن لكل سورة دلالتها والعبرة المستقاة منها ، وأول هذه السور في ترتيب المصحف "سورة الحجر" حيث يقول الحق سبحانه : { وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ * وَآَتَيْنَاهُمْ آَيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آَمِنِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ * فَمَا أَغْنَى

---

(١) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، باب في القيامة ، حديث ٢٤١٦ .

عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ }[1]، وأصحاب الحجر هم قوم سيدنا صالح (عليه السلام) .

ثم تأتي "سورة الكهف" وتتناول أمورًا عديدة أبرزها قصة أصحاب الكهف ، هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم ، حيث يقول الحق سبحانه : {...إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَّدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا}[2]، ويقول سبحانه : { وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا}[3]، ونلاحظ هنا أن النص القرآني عبر بقوله تعالى : {وَازْدَادُوا تِسْعًا}، ولم يقل سبحانه وتعالى: ثلاثمائة وتسع سنين ، ففرق كبير بين التعبيرين ، إذ إن النص القرآني يحمل معنىً وإشارةً لا يمكن أن يحملها تعبير آخر ، ذلك أن كل مائة سنة شمسية تعادل مائة وثلاث سنوات قمرية ، فهي ثلاثمائة سنة شمسية ، تزاد تسعًا بالحساب القمري .

ثم تأتي "سورة الأحقاف" لتذكِّر بمصير ومآل أصحاب الأحقاف قوم عادٍ ، حيث يقول الحق سبحانه فيها : { وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا الله إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا

---

(١) الحجر: ٨٠- ٨٤ .

(٢) الكهف: ١٣ ، ١٤.

(٣) الكهف: ٢٥ .

تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ الله وَأُبَلِّغُكُمْ مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ}[1]، إذ في ذلك متعظ لمن كان له أدنى مسحة أو تدبر في أحوال الأمم التي طغت وتجبرت وظلمت وعتت عن أمر ربها فأخذها أخذ عزيز مقتدر ، في سُنَّةٍ لا تتخلف في سوء عقبى الظالمين ، وحسن عقبى المتقين ، أفرادًا أو جماعاتٍ أو أممًا .

ثم تأتي "سورة الحجرات"، حجرات أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم)، حيث يقول الحق سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُون * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَالله غَفُورٌ رَحِيمٌ}[2]، بيانًا لمكانة النبي (صلى الله عليه وسلم) والأدب معه .

ولما ناظر أبو جعفر المنصور الإمام مالكًا في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، قال له مالك : يا أمير المؤمنين ، لا ترفع صوتك في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فإن الله (عز وجل) امتدح أقوامًا فقال : {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ الله أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ الله قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ }[3]، وذم آخرين، فقال:{ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ

(١) الأحقاف: ٢١– ٢٥ .

(٢) الحجرات: ٤ ، ٥ .

(٣) الحجرات: ٣ .

مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}[1]، وقال : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ }[2]، وإن وإن حرمته ميتًا كحرمته حيًّا فاستكان لها أبو جعفر [3] .

ثم تأتي "سورة الطور" طور سيناء ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ } [4] ، وتأكيدًا على قدسية هذا المكان ولفتًا للأنظار إليه قدم القسم بالطور على غيره من الْمُقْسَمِ به من : الكتاب المسطور ، والبيت المعمور ، والسقف المرفوع ، والبحر المسجور ، وقد استمد هذا الطور هذه المكانة من تجلي الحق سبحانه وتعالى عنده لكليمه موسى (عليه السلام) ، حيث يقول سبحانه : {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا

---

(١) الحجرات: ٤ .

(٢) الحجرات: ٢ .

(٣) الخصائص الكبرى المسمى " كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب " للحافظ السيوطي، باب اختصاصه (صلى الله عليه وسلم) بحرمة التقديم بين يديه ورفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول ، ص ٤٤٤ ، ط: دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٤) الطور: ١ – ٨.

تَسْعَى * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى }[1]، ويقول سبحانه: { فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ}[2] ، ويقول لنبينا (صلى الله عليه وسلم) : { وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[3]، وفي هذا كله ما يؤكد أهمية هذه البقعة المباركة من أرض سيناء المباركة بما حباها الله (عز وجل) به من خير وبركة ، وهو ما يستحق منا الاهتمام بها وبأهلها وبمقدساتها والحفاظ عليها ، ويجعلنا نلتف وبقوة خلف قواتنا المسلحة الباسلة في الدفاع عنها ، وعن كل حبة رمل من ثراها الطيب الطاهر العطر ، وألاَّ نسمح للإرهابيين والمتطرفين من تلويثها بغدرهم وخيانتهم ، وعمالتهم وزيغهم ، وزيفهم وبهتانهم ، وضلالهم وإضلالهم .

ثم يأتي الختام "بسورة البلد" ، البلد الأمين ، مكة المكرمة ، بلد الله الحرام الآمن ، حيث يقول الحق سبحانه : { لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ }[4]، فالبلد مُكَرَّم

---

(١) طه : ١١- ١٦ .

(٢) القصص : ٣٠، ٣١ .

(٣) القصص : ٤٦ .

(٤) البلد : ١ – ٤ .

لذاته ، ولنبيه ، ولبيت الله الحرام ، حيث يقول الحق سبحانه مخاطبًا حبيبنا محمدًا (صلى الله عليه وسلم) : { وَمَا كَانَ الله لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ الله مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ }[1].

ثم إن هذا القسم بهذا البلد الحرام ينصبُّ على حقيقة هامة يجب أن نعيها جيدًا ، وهي طبيعة هذه الدنيا التي بنيت على الكد والنصب والتعب ، حتى قال أحد العارفين : من طلب الراحة في الدنيا طلب ما لم يخلق ومات ولم يرزق ، لأن الله (عز وجل) قد قال في كتابه العزيز:{ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ }[2] ، فالدنيا دار عمل وتعب ونصب ، والعاقل من أخذ منها ما يتزود به لغده ، وما يجب أن يلقى الله به ؛ في توازن بين عمارة الكون والتزود للآخرة .

فإذا ما تجاوزنا دلالات الزمان والمكان وجدنا القرآن الكريم يلفت الأنظار إلى الظواهر الكونية ، من الشمس ، والقمر ، والنجم ، والرعد ، والتكوير ، والانفطار ، والزلزلة ، والبروج ، والطارق ، والفلق ، في تأكيدٍ واضحٍ على أهمية هذه الظواهر ، ولفتًا للأنظار إليها ، والتأمل فيها ، والإفادة منها، وأخذ العبرة والعظة بما ورد في شأنها ، حيث يقول الحق سبحانه: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الله قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ

(١) الأنفال: ٣٣ .

(٢) البلد: ٤ .

وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }[1]، ويقول (عز وجل) : { سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }[2] .

وهكذا في سائر الدلالات ما يستحق دراسة علمية أكاديمية متخصصة وافية تجلي أسرار ودلالات هذه السور ؛ بما فيها من فيض وإعجاز علمي وبلاغي وبياني ، وتعطي الموضوع حقه من البحث والدرس والنظر ، إذ في كل هذا ما يؤكد أن عطاء القرآن الكريم متجدد في كل زمان ومكان ، لا تنقضي عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يَخْلَقُ عن كثرة الرَّد ، وهذا أحد أسرار حفظه وبقائه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وصدق الحق سبحانه إذ يقول في محكم التنزيل : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }[3]، وحيث يقول سبحانه : { فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ } [4].

* * *

---

(١) آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) فصلت : ٥٣ .

(٣) الحجر : ٩ .

(٤) الواقعة : ٧٥ – ٧٧ .

المبحث الخامس
من مواطن الكمال والجمال المعنوي في القرآن الكريم

الكمال لله (عز وجل) وحده ، ولكلامه ، ولكتابه العزيز ، فهو كتاب الكمال والجمال ومحاسن الأخلاق ومكارمها ، فقد تحدث هذا الكتاب العظيم عن الصبر الجميل ، فقال سبحانه : { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَالله الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ }[1] ، والصبر الجميل هو الذي لا شكوى معه ، وهو الذي يُوفَّى فيه الصابرون أجرهم بغير حساب ، بل قد يتبعه إحسان على حد قوله تعالى: { وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَالله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }[2].

وهو صبر الرضا بقضاء الله وقدره ، ومنه : ما كان من التابعي الجليل عروة بن الزبير بن العوام (رضي الله عنهما) حين فقد ابنه وابتلي بقطع ساقه ، فقال راضيا محتسبًا: اللهم إنك إن كنت قد ابتليت فقد عافيت ، وإن كنت قد أخذت فقد أعطيت ، لقد أعطيتني أربعة من الولد فأخذت مني واحدًا وأبقيت لي ثلاثة ، وأعطيتني أربعة أطراف فأخذت مني واحدًا وأبقيت لي ثلاثة ، ودخل عليه إبراهيم بن محمد بن طلحة ، قائلا : أبشر يا أبا عبد الله ، فقد سبقك ابن من أبنائك وعضو من أعضائك إلى الجنة ، فقال عروة (رضي الله عنه) : ما عزاني أحد بأحسن مما عزيتني به [3].

---

(١) يوسف : ١٨.

(٢) آل عمران : ١٣٤.

(٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي عباس بن أبي بكر بن خلكان (المتوفى : ٦٨١ هـ) ، ج٣ ص ٢٢٤ ، ط : دار الكتاب العلمية ، بيروت .

وتحدث القرآن الكريم عن الصفح الجميل ، حيث يقول تعالى لنبينا (صلى الله عليه وسلم) : { فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ } [1]، وهو الذي لا منَّ معه ، وهو ما كان من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم فتح مكة ، حيث قال لهم: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)[2]، وما كان منه (صلى الله عليه وسلم) عندما سلط عليه أهل الطائف عبيدهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة حتى سال الدم من قدميه الشريفتين ، وأرسل الله (عز وجل) إليه ملك الجبال يناديه: يا محمد لو شئت لأُطْبِقَنَّ عليهم الأخشبين ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (لا ، ولكني أقول : اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون ، إني لأرجو أن يخرج من أصلابهم من يقول : لا إله إلا الله) ، وهنا قال له جبريل (عليه السلام) : (صدق من سماك الرءوف الرحيم) [3].

وتحدث القرآن الكريم عن الهجر الجميل حتى مع الأعداء ، حيث يقول سبحانه : { وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا }[4]، والهجر الجميل هو الذي لا أذى معه ، وليس فيه لدد أو فجور في الخصومة ، وهو أحد جوانب سماحة الإسلام ، أما اللدد في الخصومة فمن علامات النفاق ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا

---

(١) الحجر: ٨٥ .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب السير ، باب فَتْحِ مَكَّةَ حَرَسَهَا الله تَعَالَى ، حديث رقم ١٨٧٣٩ .

(٣) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، لمحمد بن عفيفي الباجوري ، المعروف بالشيخ الخضري (المتوفى: ١٣٤٥هـ) ، ص ٦١ ، ط : دار الفيحاء ، دمشق ، الطبعة : الثانية ١٤٢٥هـ .

(٤) المزمل : ١٠ .

خَالِصًا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) [1].

وتحدث القرآن الكريم عن السَّراح الجميل ، وهو الذي لا عضل فيه للمرأة ، ولا ظلم لها ، ولا هضم لحقوقها ، حيث يقول سبحانه وتعالى : {وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً }[2] ، ويقول جل وعلا : { فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ }[3] ، فينبغي على كلا الزوجين أن يتذكرا ما كان بينهما من فضل ومن حياة تستدعي حفظ العهد لا الانتقام ولا التشفي ولا العضل، يقول الحق سبحانه وتعالى : { وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ } [4].

ولو طبقنا هذه القيم بين الزوجين ما وجدنا هذا الكم الهائل من القضايا والمشاكل الأسرية .

وتحدث القرآن الكريم – أيضًا – عن الخلق العظيم في وصف سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فقال سبحانه : {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[5]، حيث كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) يصل من قطعه ، ويعطي من حرمه ، ويعفو عمن ظلمه ، ويحسن إلى من أساء إليه .

(١) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب عَلاَمَةِ المُنَافِقِ ، حديث رقم ٣٤ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بَيَانِ خِصَالِ المُنَافِقِ ، حديث رقم ٢١٩.

(٢) الأحزاب : ٤٩ .

(٣) البقرة : ٢٢٩ .

(٤) البقرة : ٢٣٧ .

(٥) القلم : ٤ .

وتحدث القرآن الكريم عن القول الحسن الجميل لكل الناس في قوله تعالى : { وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا }[1] ، سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين ، موحدين أم غير موحدين ، بل طالبنا القرآن الكريم أن نقول ما هو أحسن لا ما هو حسن فحسب ، حيث يقول الحق سبحانه : { وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }[2]، كما أن الحديث بالتي هي أحسن نعمة ومنّة وهداية وتوفيق من الله (عز وجل) ، حيث يقول سبحانه : { وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ }[3].

كما جعل القرآن الكريم الكلمة الطيبة من صفات المؤمنين ، حيث يقول (جل وعلا) : { وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ }[4]، فقد فسر كثير من أهل العلم ذلك بقولهم : الكلمة الطيبة للرجل الطيب وللمرأة الطيبة ، فالطيب لا يقول إلا طيبا ، وهذا فضل من الله تعالى ومنة ، وقد كان الصحابة (رضوان الله تعالى عليهم) دائمًا ما يتخيرون الألفاظ والكلمات الطيبة ، حيث مرَّ سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على قوم يوقدون النار بالليل ، فقال : " السلام عليكم يا أهل الضوء "[5] ، ولم ينادهم (رضي

(١) البقرة : ٨٣ .

(٢) الإسراء : ٥٣ .

(٣) الحج : ٢٤ .

(٤) النور: ٢٦ .

(٥) مفاتيح الجنان ليعقوب بن سيد علي البروسوي (المتوفى : ٩٣١هـ) في شرح شريعة الإسلام لمحمد بن أبي بكر المعروف بامام زاده الحنفي (المتوفى : ٥٧٣هـ) ، ص ٤١٨، ط : كتاب ناشرون، بيروت .

الله عنه) بأهل النار كراهية إدخالهم تحت لفظ أهل النار ولو شكلا ، كما جعل الإسلام الكلمة الطيبة سبيل إلى الصلح بين الناس ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: { لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ الله فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}(١).

كما تحدث القرآن الكريم عن الدفع الحسن الجميل ، وهو مقابلة السيئة بالحسنة ، وليس مقابلتها بالسيئة ، فمنزلة الصفح والعفو منزلة عظيمة وعالية ، فقال سبحانه : { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ }(٢)، ويقول (عز وجل) : { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}(٣).

وتحدث القرآن الكريم عن اللباس الجميل ، فقال سبحانه : { وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ }(٤).

---

(١) النساء : ١١٤ .

(٢) فصلت : ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) الفرقان : ٦٣ .

(٤) الأعراف : ٢٦ .

ويقول الشاعر [1]:

إِذا المَرءُ لَم يُدنَس مِنَ اللُؤمِ عِرضُهُ
فَكُلُّ رِداءٍ يَرتَديهِ جَميـــــلُ

فَنَحنُ كَماءِ المُزنِ ما في نِصابِنــا
كَهامٌ وَلا فينا يُعَدُّ بَخيـــــلُ

وَما أُخمِدَت نارٌ لَنا دونَ طارِقٍ
وَلا ذَمَّنــا في النازِلينَ نَزيــلُ

كما تحدث القرآن الكريم عن الوجه الجميل ، فقال (عز وجل) : {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ }[2]، وقال سبحانه : {تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ}[3]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ الله لا يَنْظُرُ إِلَى

---

(١) أبيات من ديوان السموأل (المتوفى : ٦٢ قبل الهجرة) ، وهو: السموأل بن غريض بن عادياء بن رفاعة بن الحارث الأزدي ، شاعر جاهلي يهودي عربي ، ذو بيان وبلاغة ، كان واحدا من أكثر الشعراء شهرة في وقته ، وكان يملك حصنًا في شمال الجزيرة ، وقد ضُرِب بالسموأل المثل في الوفاء لإسلامِه ابنَهُ للقَتْل على أن يُفَرِّط في دروعٍ أُوْدِعها أمانةً ، في خبرٍ طويل، وقصّة مشهورةٍ، تُطْوَى في قولهم: إنّ امرأ القيس صاحب (قِفا نَبْكِ) اسْتَودع السموأل دروعا ، كانت ملوك كندة يتوارثونها ملكا عن ملك ، فطلبها ملك الحيرة الحارثُ بن أبي شَمِر الغَسّانيّ وألَحّ في تَطْلابِها ، فلمّا حُجِبَتْ عنه سار إلى السموأل ، فلمّا دَهَم الجيشُ السموأل أغلق الحصن دون من دَهَمَه ، فأُخِذ له ابنٌ كان خارج الحصن في مُتَصَيَّدٍ له ، فخَيّر الحارث السموأل بين دَفْعِ الدروع التي في حِرْزه وقَتْل ابنه ، فاختار السَّموأل الوفاءَ بالذِّمّة .

(٢) عبس : ٣٨ ، ٣٩ .

(٣) المطففين : ٢٤ .

صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)[1] ، فالعبرة بالمَخْبَر والجوهر وليس بالشكل والمظهر ، ولما مرَّ رجل من فقراء المسلمين عَلَى رَسُولِ الله (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: (مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا ؟) ، قَالُوا : حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ ، قَالَ : ثُمَّ سَكَتَ ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنَ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ : (مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا ؟) قَالُوا : حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْتَمَعَ ، فَقَالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) : (هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا)[2] ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (كم من أشعث أغبر ذي طمرين ، لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره ، منهم البراء بن مالك)[3].

وتحدث القرآن الكريم عن العيشة الجميلة الطيبة ، عيشة أهل الجنة ، فقال سبحانه : { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ }[4]، والمعيشة أمر

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ، بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ ، وَخَذْلِهِ ، وَاحْتِقَارِهِ ، وَدَمِهِ ، وَعِرْضِهِ ، وَمَالِهِ ، حديث رقم ٢٥٦٤ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الأَكْفَاءِ فِي الدِّينِ ، حديث رقم ٥٠٩١ .

(٣) سنن الترمذي ،كتاب المناقب ، باب مناقب البراء بن مالك (رضي الله عنه) حديث رقم ٣٨٥٤.

(٤) الحاقة : ٢١-٢٤ .

معنوي ، والأصل أن تكون مرضية راضيًا عنها صاحبها ، لكن القرآن الكريم عبَّر باسم الفاعل (راضِيَةٍ) ولم يعبر باسم المفعول (مرضية) تأكيدًا على منتهى الرضا لأصحاب هذه المعيشة عنها ، حتى أن العيشة نفسها صارت راضية عن أصحابها ، وكيف لا ! وهو في جنة عالية ، قطوفها دانية.

كما تحدث القرآن الكريم عما يوصل لهذه المعيشة الجميلة من خلال السعي الجميل المشكور ، فقال سبحانه : { وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا }(١) .

وتحدث القرآن الكريم عن الجزاء الحسن الجميل ، فقال سبحانه : {وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا }(٢).

وتحدث عن التحية الجميلة ، فقال سبحانه : { وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا }(٣)، والتحية الجميلة هي القول الجميل ، هي تحية الإسلام ، التي هي السلام ، فالإسلام دين السلام ، ونبينا (صلى الله عليه وسلم) نبي السلام ، وتحيتنا السلام ، وتحية أهل الجنة السلام ، قال تعالى : { تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ }(٤) ، وقال سبحانه : { وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا

---

(١) الإسراء: ١٩ .

(٢) الإنسان : ١٢ .

(٣) النساء : ٨٦ .

(٤) الأحزاب: ٤٤ .

صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ }[1] ، فهذه هي تحية الإسلام ، ويجب أن نرد بمثلها أو بأحسن منها ، ولا نكون ممن يبتغون الدنيا بعمل الآخرة ؛ تحكمهم المصالح الدنيوية فيفرقون في ردّ السلام بين أناس وآخرين .

يقول القائل:

يُحيّي الناسُ كلَّ غَنِيٍّ قَــــوْمٍ
ويُبْخَلُ بِالسَّــــــلَامِ عَلَى الْفَقِيرِ
ويـوسَــــــع لِلْغَنِيِّ إِذا رأَوه
ويُحْبَى بِالتَّحِيَّــــــةِ كالأَميـر[2]

كما أنه ينبغي رد السلام بالتي هي أحسن ، بل إن الإنسان لو قصد من خلال السلام جبر خاطر الفقير أو المسكين كان الثواب أعلى وأعظم ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ (رضي الله عنهما): " الْبِرُّ شَيْءٌ هَيِّنٌ ، وَجْهٌ طَلِيقٌ ، وَكَلَامٌ لَيِّنٌ "[3]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لا تَحقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوف شَيْئًا ، وَلَو أنْ تَلقَى أخَاكَ بوجهٍ طليقٍ)[4].

---

(١) الرعد : ٢٤ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ، ج ٣ / ص ١٥٨ط : دار صادر ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ١٤١٤هـ ونسبه لَأَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ .

(٣) شعب الإيمان للبيهقي ، السابع والخمسون من شعب الإيمان ، باب في حسن الخلق ، حديث رقم ٧٧٠٢ ، وأدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي ، ص ٢٠١ ونسبه لسفيان بن عيينة .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب اسْتِحْبَابِ طَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ ، حديث رقم ٦٨٥٧ .

يقول القائل:

وإذا طلبت إلى كـــريم حاجـــة

فَلِقَـــاؤُه يَكْفِيـــكَ وَالتَّسليـــــمُ[1]

وتحدث القرآن الكريم عن " العطاء الجميل" الذي لا مَنّ فيه ولا أذى معه ، يقول تعالى :{ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الله ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[2]، حيث شرط القرآن الكريم عدم المَنّ والأذى لقبول الصدقة .

ويقول سبحانه : {قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَالله غَنِيٌّ حَلِيمٌ}[3]، ويقول (جل وعلا) : {لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}[4] ، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) ، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ قَطُّ ، وَمَا مَدَّ عَبْدٌ يَدَهُ بِصَدَقَةٍ إِلا أُلْقِيَتْ بِيَدِ الله قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ السَّائِلِ ، وَلا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ لَهُ عَنْهَا غِنًى إِلا فَتَحَ الله عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ)[5].

---

(١) الفصول المفيدة في الواو المزيدة لصلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيلكلدي بن عبد الله العلائي الدمشقي الشافعي ، ص٢١٢ ، تحقيق : د/ حسن موسى الشاعر ، ط : دار البشير ، عمان.

(٢) البقرة: ٢٦٢ .

(٣) البقرة: ٢٦٣.

(٤) آل عمران: ٩٢.

(٥) المعجم الكبير للطبراني، ج١٠/ ص ٩٨، حديث رقم ١١٩٨٢، وكتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام (المتوفى : ٢٢٤ هـ) ، عن أبي هريرة وابن مسعود ، كتاب الصدقة وأحكامها ==

وجاءت عجوز إلى الإمام الليث بن سعد (رحمه الله) تطلب كأسًا من العسل ، فقال : أعطوها زقًّا (وعاءً كبيرًا) فقالوا : يا إمام إنها طلبت كأسًا ، فقال : هي طلبت على قدر حاجتها ونحن نعطي على قدر نعم الله (عز وجل) علينا (1).

وقد بين الحق سبحانه وتعالى هذا المعنى في كتابه الكريم حيث قال : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ}(2)، فنسب سبحانه الإخراج إلى نفسه تعالى ، يقول (عز وجل) : {أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ}(3) .

والقرآن الكريم ربط زيادة النعم بشكرها ، فقال تعالى : { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ }(4) ، وشكر النعمة يكون من جنسها ، فشكر المال يكون بالإنفاق وبإخراج حق الله تعالى

== باب فضائل الصدقة والثواب في إعطائها ، حديث رقم ٩٠٠ ، ٩٠١، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت .

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ، ج ٢٧ / ص ٥٧٩ .

(٢) البقرة : ٢٥٤ .

(٣) الواقعة : ٦٣ – ٧٠ .

(٤) إبراهيم : ٧ .

فيه، فيعطي مما أعطاه الله له عطاءً جميلا ، ولا يتعمد الخبيث من المال (الرديء من الطعام ، أو البالي من الثياب) فيتصدق به ، يقول تعالى: { وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ الله غَنِيٌّ حَمِيدٌ }[1]، فينبغي على المعطي أن يضع نفسه مكان المتصدَّق عليه ، فإن من حكمة الله تعالى أن جعل بعض الناس متصدقين وبعضهم آخذين ، وهو القادر سبحانه أن يقلب الأحوال متى شاء ؛ فيجعل الآخذ معطيًا والمعطي آخذًا ، فيوم لك ويوم عليك ، قال تعالى: { وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ }[2].

ولله درُّ القائل:

الناس للناس ما دام الوفــــاء بهـم
والعسر واليسر أوقــات وساعاتُ
وأكرم الناس ما بين الورى رجــلٌ
تقضى على يده للنـــاس حـاجــاتُ
لا تقطعن يد المعــروف عن أحـد
ما دمت تقـدر والأيــــام تــــاراتُ
واذكر صنيعة فضل الله إذ جعلــت
إليك لا لك عند الناس حاجــــاتُ

(١) البقرة: ٢٦٧ .

(٢) آل عمران: ١٤٠ .

كم مات قوم وما ماتت فضائلهـــم

وعاش قوم وهم في الناس أمـــواتُ

ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (ثَلاَثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ ، قَالَ : مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ الله عِزًّا ، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ الله عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ)[1]، فالمنة والفضل من الله تعالى وحده .

على أن العطاء والإنفاق ينبغي أن يكون لوجه الله تعالى، يقول سبحانه : { لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ }[2]، قال بعض أهل العلم : (عَلَى حُبِّهِ) أي على حبه للمال وتمسكه به إلا أنه آثر ما عند الله تعالى على ما عند نفسه ، يقول سبحانه : {مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ الله بَاقٍ}[3]، وقال بعضهم : الضمير في (حبه) يعود لله (جل جلاله) ، أي أعطى المال لليتامى والمساكين وابن السبيل حُبًّا في الله تعالى وابتغاء مرضاته ، قال سبحانه : { وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر ، حديث رقم ٢٣٢٥ .

(٢) البقرة : ١٧٧ .

(٣) النحل : ٩٦ .

قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ الله شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا}[1] ، ويقول سبحانه : {هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ الله فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَالله الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم}[2] .

وتحدث القرآن الكريم عن " اللقاء الجميل" عندما تتلقى ملائكة الرحمن عباد الله المخلصين ، حيث يقول سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ }[3].

وتحدث القرآن الكريم عن " الخاتمة الجميلة " ، خاتمة أهل الاستقامة ، حيث يقول سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا الله ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ }[4] ، تتنزل عليهم لحظة الاحتضار ، مع أن نزول الملائكة (عليهم السلام) يكون للأنبياء والمرسلين (عليهم الصلاة والسلام) ، لكن هذه الآية الكريمة تحدثت عن نزول الملائكة على أهل الاستقامة وعباد الله المخلصين مطمئنة

---

(١) الإنسان: ٨ – ١٢ .

(٢) محمد: ٣٨ .

(٣) الأنبياء: ١٠١ – ١٠٣ .

(٤) فصلت: ٣٠ .

لهم ، تقول للعبد الصالح : "لا تخف يا عبد الله ولا تحزن ، وأبشر بالجنة التي كنت توعد ، انظر إلى مقعدك في النار قد أبدلك الله به مقعدًا في الجنة ، لا تحزن على ما تركت من الأهل والأولاد ؛ فهم في كنف الله ورعايته وأمنه ، ولا تخف من الآتي ؛ فأنت في عفو الله وستره وعطائه وفيض كرمه ، وهو وليّك في الدنيا والآخرة " ، فَمِمَّ تخاف إذا كان الله تعالى هو وليُّك ووليُّ أهلك في الدنيا والآخرة؟ ، يقول تعالى : { نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيم }[1] .

ومن الختام الجميل: تثبيت الله لعباده المؤمنين ، والختام لهم بخاتمة السعادة ، حيث يقول سبحانه : { يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ }[2]، قال بعض أهل العلم : يثبتهم بالقول الثابت وبالطمأنينة في الدنيا وعند سؤال القبر ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ) ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: مَا اسْتَعْمَلَهُ ؟ قَالَ: (يَهْدِيهِ اللهُ (عَزَّ وَجَلَّ) إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ قَبْلَ مَوْتِهِ ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَى ذَلِكَ)[3]، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دائمًا ما يسأل ربه حسن الخاتمة ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ : (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ)، فَقَالَتْ لَهُ

(١) فصلت : ٣١، ٣٢ .

(٢) إبراهيم : ٢٧ .

(٣) مسند أحمد ، ج ٢٨/ ص ٤٥٢ ، حديث رقم ١٧٢١٧ .

عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ الله : إِنَّكَ تُكْثِرُ أَنْ تَقُولَ : " يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ "، قَالَ : (وَمَا يُؤْمِنِّي، وَإِنَّمَا قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيِ الرَّحْمَنِ ، إِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلَّبَهُ) ، قَالَ عَفَّانُ : " بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الله عَزَّ وَجَلَّ " [1] ، وقالوا : من قبض على شيء بعث عليه ، لا سيما الشهداء ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ فِى سَبِيلِ الله – وَالله أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ– إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ)[2]، وما أحسنها وأجملها من خاتمة.!

* * *

(١) مسند أحمد ، ج ٤٣ / ص ٢٣٠ ، حديث رقم ٢٦١٣٣ .

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب مَنْ يُجْرَحُ فِى سَبِيلِ الله (عَزَّ وَجَلَّ) ، حديث رقم ٢٨٠٣، وصحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضل الجهاد والخروج فى سبيل الله ، حديث رقم ١٨٦٧ .

جمال الأدب مع الله تعالى
في القرآن الكريم

ما أجمل الأدب مع الله تعالى!! ، وما أجمل الأدب مع سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)!! ، وما أجمل الأدب مع الخلق!! ، والقرآن الكريم مليءٌ بمواطن الأدب مع الله تعالى ، والأدب مع سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، والأدب مع الخلق ، ومن النماذج السامية في الأدب مع الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم : ما كان من سيدنا عيسى (عليه السلام) ، حيث يقول سبحانه: { وَإِذْ قَالَ الله يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ الله }[1] ، فلم يقل سيدنا عيسى (عليه السلام): لم أقله ، وإنما قال: {سُبْحَانَكَ}، تنزيهًا لله تعالى ، {مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا الله رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[2]، إن كانوا قد غيروا وبدلوا من بعدي فيما بلغتهم ؛ فأمرهم إليك ، وأنت أعلم بهم ، { إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }[3]، وهذا من كمال الأدب في الخطاب مع الله تعالى .

---

(١) المائدة : ١١٦.

(٢) المائدة : ١١٦ ، ١١٧ .

(٣) المائدة : ١١٨ .

وكذلك من الأدب الرفيع مع الله تعالى ما كان من قول سيدنا إبراهيم (عليه السلام) ، حيث يقول سبحانه عنه على لسانه : {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ }[1]، فنسب عملية الخلق للخالق (عز وجل) ، {وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ}[2]، فنسب عملية الرزق لله تعالى ، {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}[3]، فلم ينسب ما أصابه من مرض لله (عز وجل) تأدبًا مع الله تعالى ، مع أن الصحة والمرض بيد الله تعالى وحده ، إلا أن أبا الأنبياء (عليه السلام) تأدبًا مع الله تعالى لم ينسبها له ، ونسب الجوانب الحسنة لله سبحانه ، ولما جاء إلى الحديث عن المرض قال :{وَإِذَا مَرِضْتُ}، ولم يقل وإذا أمرضني تأدبًا مع الله (عز وجل) .

كما أن الجن عرفت الأدب مع الله تعالى ، حيث قالوا : {وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا}[4] ، فنسبوا الرشد والصلاح لله (عز وجل) ، {أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} ، ولم ينسبوا الشر له (عز وجل) ، حيث قالوا : {وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ}، بالبناء للمجهول ، تأدبًا مع الله تعالى .

كما ذكر القرآن الكريم تأدب الخضر (عليه السلام) مع الله تعالى في قصة السفينة والغلام ، حيث قال سبحانه : {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ

---

(١) الشعراء: ٧٨ .

(٢) الشعراء: ٧٩ .

(٣) الشعراء: ٨٠ .

(٤) الجن: ١٠ .

فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا}[1]، فنسب عيب السفينة لنفسه ، وكذلك في قوله تعالى : {وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا}[2] ، نسب عملية الاجتهاد في قتل الغلام إلى نفسه ، أما قوله تعالى : {وأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا}[3] ، فنسب الخير والرحمة إلى الله تعالى ، وهذا من كمال الأدب مع الله (عز وجل) .

ومن الأدب السامي ما كان من سيدنا أيوب (عليه السلام) مع الله تعالى، حينما مسه الضر ، فقال سبحانه : {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ}[4] لم يقل اشفني وكأنه يقول : يكفيني يا رب علمك بحالي ، {وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}.

ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لاَ إِلَهَ إِلاَ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَـهُ ، لَـهُ الْمُـلْكُ وَلَهُ الْحَمْـدُ ، وَهُوَ عَلَـى كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيـرٌ) [5] ، وقد سئل سفيان بن عيينة عن

---

(١) الكهف : ٧٩ .

(٢) الكهف: ٧٩ –٨١ .

(٣) الكهف: ٨٢ .

(٤) الأنبياء: ٨٣ .

(٥) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب فِي دُعَاءِ يَوْمِ عَرَفَةَ ، حديث رقم ٣٩٣٤ .

أفضل الدعاء يوم عرفة ، فقال: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير" ، فقيل له : هذا ثناء وليس بدعاء ، فقال : يقول الله (عزّ وجلّ) في الحديث القدسي: (مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ ذِكْرِي وَمَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ)[1] ، ثم ذكر قول أمية بن أبي الصلت:

أأذكر حاجتــي أم قد كفانــي
حيـــاؤك إن شيمتـــك الحيـاء
وعلمك بالحقوق وأنت فـرع
لك النســب المعلـى والثنـــاء
إذا أثنـى عليــك المــرء يومـا
كفــاه من تعـرضـــه الثنـاء[2]

فإذا كان هذا مع الخلق ، فكيف بأكرم الأكرمين ورب العالمين وخالق الخلق أجمعين ؟ لا كما فعل قارون حين قال: {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي}[3]، فكانت النتيجة "فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ"[4]، وسئل أحدهم عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة ؟ ، فقال: الكبر[5].

---

(١) سنن الترمذي ، فضائل القرآن ، باب من شغله القرآن وذكري عن مسألتي ، حديث رقم ٢٩٢٦.

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري ج٤/ ص ٣٨٧ ، ط مؤسسة الأعلمي ، بيروت . الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ.

(٣) القصص: ٧٨ .

(٤) القصص: ٨١ .

(٥) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي (المتوفى ٥٠٥هـ) ج ٣ / ص ٣٣٩ .

تواضع تكن كالنجم لاح لناظــره

على صفحات الماء وهو رفيــــــع

ولا تكن كالدخان يعلـــــو بنفسه

إلى طبقات الجو وهو وضيـــــــع

ويقول الآخـر:

ولا تمشِ فوق الأرضِ إلَّا تواضعًـا

فكم تحتهـا قومٌ هـــم منك أرفـــعُ

فإن كنتَ فـي عزٍّ وخيرٍ ومنعـــةٍ

فكم مات مِن قومٍ هم منك أوضعُ[1]

فإذا كانت مراعاة الأدب مع الخلق واجبة ، فما بالنا بالأدب مع الخالق ، فنحن في حاجة ماسة للأدب مع الله (عز وجل) ، والأدب مع سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وأن نتأدب مع كتاب الله تعالى ، فحسن الأدب مع الله (عز وجل) هو أحد أهم مفاتيح الفرج ، فما أجمل الأدب ، وما أجمل الأدب مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وما أجمل الأدب من الخلق!!، وقَبَّحَ الله من لا أدب له.

* * *

(١) روضة العقلاء ، للحافظ أبي حاتم البستي ، صاحب صحيح ابن حبان ، ص ٦١.

أدب الاستئذان في سورة النور

تحدثت سورة النور عن كثير من الآداب الإنسانية السامية ، منها أدب الاستئذان ، واحترام خصوصية الناس ؛ فمن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}[1] ، فالإسلام دين الأدب ، ودين الرقي ، ودين القيم الإنسانية الجميلة ، وكان سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا أتى أحدًا لا يأتي من قِبَل الباب ، فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ بُسْرٍ (رضي الله عنه) قَالَ : " كَانَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ ، وَلَكِنْ مِنْ رُكْنِهِ الأَيْمَنِ أَوِ الأَيْسَرِ وَيَقُولُ: (السَّلاَمُ عَلَيْكُمُ ، السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ) ، وَذَلِكَ أَنَّ الدُّورَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا يَوْمَئِذٍ سُتُورٌ "[2] ؛ ذلك حتى لا يقع بصره على أهل البيت ، فإذا دخلْتَ بيت أحد فاحفظ حرمته ، واحفظ سر البيت .

كما أن من الأدب أن لا تجلس وعينك أمام مدخل البيت أو غرفة النوم أو الطعام ، وأن تغض بصرك عن حرمات البيت ، وألا تجلس على تَكْرِمَةِ

---

(١) النور: ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب كَمْ مَرَّةٍ يُسَلِّمُ الرَّجُلُ فِى الاِسْتِئْذَانِ ، حديث رقم ٥١٨٨ .

أحدٍ إلا بإذنه ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (...وَلَا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ ، وَلَا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ)[1] ، وحتى لو كنت الأحفظ أو الأعلم فلا تكن إمامًا لأحد في بيته ولا في مكان عمله إلا بإذنه ، أنزلوا الناس منازلهم ، وأكرموهم حيث تحبون أن تكرموا ، حتى لو كان رئيسًا وجاء ليفتش على مرءوسه فلا يليق أن يؤمه أمام مرءوسيه ، ولا أن يجلس على مكتبه إلا بإذنه ، كما لا يليق بالإنسان أن يستخدم أداة أحد إلا بإذنه ، فلا يستخدم حاسوب أحد إلا بإذنه ، ولا قلم أحد إلا بإذنه ، ولا مسبحة أحد إلا بإذنه ، ولا كتاب أحد إلا بإذنه ، هذا هو الأدب ، وتلك هي القيم السامية ، والآداب الفاضلة التي يجب أن نتخلق بها في حياتنا ، وأن نُعلمها أطفالنا وأولادنا ؛ حيث يقول الحق سبحانه: {وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ}[2] علموهم القيم ونشّئوهم على الأخلاق ، { كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

* * *

(١) صحيح مسلم ، كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ ، بَاب مَنْ أَحَقُّ بِالْإِمَامَةِ ، حديث رقم ١٠٧٨ .

(٢) النور: ٥٩ .

في رحاب سورة الحجرات

لقد عُنيت سورة الحجرات بالقيم الأخلاقية والمعاني الإنسانية الراقية ، والتي منها : الأدب مع الله تعالى ، والأدب مع سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ الله وَرَسُولِهِ}(١) ، فلا تقدموا آراءكم ، وأهواءكم على ما أمركم به الله تعالى، أو على ما نهاكم عنه سبحانه ، أو على ما أمركم به الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، أو ما نهاكم عنه ، {وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله سَمِيعٌ عَلِيمٌ}(٢) .

ثم ينتقل الحديث إلى الأدب مع سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فيقول سبحانه:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ}(٣)، وكان الإمام مالك (رحمه الله) يقول : إن الله (عز وجل) امتدح أقوامًا فقال : {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ الله أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ الله قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ}(٤) ، وذم آخرين فقال:{إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ }(٥) ،

---

(١) الحجرات : ١ .

(٢) الحجرات : ١ .

(٣) الحجرات : ٢ .

(٤) الحجرات : ٣ .

(٥) الحجرات : ٤ .

وقال:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ}[١]، وإن حرمته (صلى الله عليه وسلم) ميتًا كحرمته حيًّا.

وتلفت سورة الحجرات أنظارنا إلى أمر في غاية الأهمية ، وهو ضرورة أن نتثبت وأن نتحرى ، وأن نتبين فيما ينقل إلينا ، حيث يقول الحق سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}[٢]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّث بِكُلِّ مَا سَمِعَ)[٣]، يقول الإمام النووي (رحمه الله تعالى) : ".. فَإِنَّهُ يَسْمَعُ فِي الْعَادَةِ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ ، فَإِذَا حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ فَقَدْ كَذَبَ لِإِخْبَارِهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ ، والْكَذِبُ : الْإِخْبَارُ عَنِ الشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا هُوَ عليه ، وَلَا يُشْتَرَطُ فِيهِ التَّعَمُّدُ لَكِنَّ التَّعَمُّد شَرْطٌ فِي كَوْنِهِ إِثْمًا"[٤]، ودخل أحد الناس على سيدنا عمر بن عبد العزيز (رحمه الله تعالى) فذكر له عن رجل شيئًا ، فقال له سيدنا عمر بن عبد العزيز : "يا هذا إن شئت نظرنا في أمرك ، فإن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

---

(١) الحجرات : ٢ .

(٢) الحجرات : ٦ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب فِي التَّشْدِيدِ فِي الْكَذِبِ ، رقم ٤٩٩٤ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ، المقدمة ، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ، ج١ / ص ٦٧، حديث رقم ٥ ، بتصرف .

آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}[1]، وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية : {هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ}[2]، وإن شئت عفونا عنك ، فقال : العفو يا أمير المؤمنين ، لا أعود إليه أبدًا" [3]، وقد قالوا : من نَمّ لك نَمّ عليك.

وصدق من قال :

احفــظ لسانك أيهـا الإنسـان

لا يلدغنـــك إنه ثعبــــان

كم في المقـابر من قتيــل لسـانه

كانت تهاب لقاءه الشجعان[4]

على أن بعض الناس يظن أن التثبت يكون في الكلام المنقول فقط ، مع أن التعامل مع مواقع التواصل الإلكتروني أشد خطورة ، فعلينا أن نتحرى وأن نتثبت ، وأن نتبين فلا نقوم بمشاركة منشور ، أو إعجاب به حتى ندقق ونفكر فيه ؛ لأن الكلمة المقروءة والمشيَّرة ربما كانت أوسع مدىً من الكلمة المسموعة ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله تَعَالى مَا يُلقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ الله بهَا دَرَجاتٍ ، وَإِنَّ الْعبْدَ لَيَتكلَّمُ

(١) الحجرات : ٦ .

(٢) القلم: ١١ .

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي ، كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات ، بيان حد النميمة وما يجب في ردها ، ج٣ / ص١٥٦، ط : دار المعرفة ، بيروت .

(٤) ديوان الإمام الشافعي ، ص ١٠٥ .

بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله تَعالى لا يُلْقي لَهَا بَالًا يهوي بهَا في جَهَنَّم)[1]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (.. وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)[2]، وبعض الناس يظن أن الصمت يكون في الكلام فقط ، مع أن الصمت قد يكون عن الكتابة الخاطئة.

وقد قال قائل :

ومـــا مـن كاتب إلا سيبــلى

ويبقي الدهر ما كتبت يـداه

فلا تكتب بخطـك غير شيء

يسـرك في القيامة أن تراه[3]

ثم انتقلت السورة الكريمة إلى النهي والتحذير من الاستهزاء بالناس ، والسخرية منهم ، يقول سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ" [4] ، فعلى الإنسان أن يضع غيره مكان نفسه ، لا يؤمن

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب حِفْظِ اللِّسَانِ ، حديث رقم ٦٤٧٨ .

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ ، حديث رقم ٦٠١٨ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص ، حديث رقم ٤٧ .

(٣) تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة ، ص ٥٩ ، ط: دار الجيل ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ– ١٩٧٢م. ذكر البيت الأول ونسبه للرياشي ، أبو الفضل العباس بن الفرج (المتوفى سنة٢٥٧ هـ)، وهو من كبار النحاة وأهل اللغة ، وكان راوية للشعر وعالم بأيام العرب.

(٤) الحجرات : ١١ .

حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره لأخيه ما يكره لنفسه ، {وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ}[1] أي لا تُنادوا أحدًا بلقب يكرهه ، ثم نهت السورة الكريمة عن الغيبة في قوله تعالى : { وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا}[2] ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ ؟) قَالُوا : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : (ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ) ، قِيلَ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟ قَالَ : (إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ)[3] ، أي افتريت وكذبت عليه ، وعَنْ سَعْدٍ مَوْلَى رَسُولِ الله (صلى الله عليه وسلم) ؛ أَنَّهُمْ أُمِرُوا بِصِيَامِ يَوْمٍ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فِي بَعْضِ النَّهَارِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، إِنَّ فُلانَةَ وَفُلانَةَ قَدْ بَلَغَهُمَا الْجُهْدُ ، فَأَعْرَضَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا ، فَقَالَ : (ادْعُهُمَا) ، فَجَاءَتَا فَدَعَا بِعُسٍّ أَوْ بِقَدَحٍ ، فَقَالَ لإِحْدَاهُمَا : (قيئِي) ، فَقَاءَتْ إِحْدَاهُمَا لَحْمًا وَقَيْحًا وَدَمًا ، وَقَالَ لِلأُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ ، وَقَالَ: (إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَنْ مَا أَحَلَّ الله لَهُمَا ، وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ الله عَلَيْهِمَا ، أَتَتْ إِحْدَاهُمَا لِلأُخْرَى ، فَلَمْ تَزَالا يَأْكُلانِ لُحُومَ النَّاسِ ، حَتَّى امْتَلأَتْ أَجْوَافُهُمَا)[4] ، ويقول تعالى : { أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ

---

(١) الحجرات: ١١ .

(٢) الحجرات: ١٢ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الغيبة ، حديث رقم ٢٥٨٩ .

(٤) معجم الصحابة لعبد الباقي بن قانع ، أحاديث سعد مولى النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ج ١/ ص ٢٥٧ ، حديث رقم ٢٩٤ ؛ تحقيق : صلاح بن سالم المصراتي ، ط: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة ، ط: ١ ، ١٤١٨هـ .

أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله تَوَّابٌ رَّحِيمٌ }[1].

وتبين السورة الكريمة الهدف الأسمى من كون الناس شعوبًا وقبائل ؛ حيث يقول الله (عز وجل) : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}[2]، أي : لا لتتقاتلوا ، ولا لتتباغضوا ، وإنما ليعرف بعضكم بعضًا .

النـاسُ مِن جِهَـةِ الآبـاء أَكفـاءُ
أَبـوهُمُ آدَمُ وَالأُمُ حَـوّاءُ
نَفسٌ كَنَفسٍ وَأَرواحٌ مُشـاكَلَةٌ
وَأَعظُمٍ خُلِقَت فيها وَأَعضـاءُ
فَإِن يَكُن لَهُمُ مِن أَصلِهِم شَـرَفٌ
يُفاخِرونَ بِهِ فَالطينُ وَالمـاءُ [3]

ويقول شوقي مخاطبا نبينا (صلى الله عليه وسلم) :

فَرَسَمتَ بَعدَكَ لِلعِبـادِ حُكومَةً
لا سُـوقَةٌ فيهـا وَلا أُمَـراءُ
اللهُ فَـوقَ الخَلـقِ فيهـا وَحـدَهُ
وَالناسُ تَحتَ لِوائِهـا أَكفـاءُ [4]

* * *

---

(١) الحجرات : ١٢ .

(٢) الحجرات : ١٣ .

(٣) ديوان سيدنا الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، ص ٣٤.

(٤) ديوان أمير الشعراء أحمد شوقي ، قصيدة الهمزية النبوية ، ص ٣٢.



المبحث السادس
من مواطن الكمال والجمال اللغوي
في القرآن الكريم

أولا : **المفردة القرآنية** :

تتميز لغة القرآن الكريم بأن كل لفظة أو مفردة من مفرداتها قد وقعت موقعها ، حيث يقتضي المقام ذكرها دون سواها أو مرادفها ، فإذا جاءت الكلمة معرفة أو نكرة كان لاقتضاء المقام ذلك ، وإذا جاءت مفردة أو جمعًا كان ذلك لغرض يقتضيه السياق ، وقد يُؤْثِرُ النص القرآني كلمة على أخرى وهما بمعنى واحد ، ويختار كلمة ويترك مرادفها الذي يشترك معها في أصل الدلالة ، وما كان للمتروك أن يقوم مقام المذكور أو يدانيه بلاغة لو ذكر مكانه ، ومن نماذج ذلك :

١ . كلمة "إصلاح" في قوله تعالى:{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَالله يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ الله لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(١).

فلو تأملنا هذه الآية جيدًا ، ونظرنا – على وجه التحديد- في موقع كلمة " إِصْلَاحٌ " ، ثم فكرنا في بدائلها اللغوية ومشتقاتها وما يرادفها ، وحاولنا أن نضع أي بديل لغوي – رأسيًّا أو أفقيًّا – في موضعها لوجدنا أن العربية على عمقها واتساعها عاجزة عن أن توافينا أو تمدنا بكلمة يمكن أن تقوم مقام كلمة " إِصْلَاحٌ " في هذا الموضع .

---

(١) البقرة : ٢٢٠ .

فالإصلاح أمر جامع لما يحتاج إليه اليتيم ، فقد يحتاج إلى المال فيكون الإصلاح برًّا وعطاءً ماديًّا ، وقد يحتاج إلى من يتاجر له في ماله أو من يقوم على زراعته أو صناعته فيكون الإصلاح هو القيام بذلك ، وقد لا يحتاج اليتيم إلى المال ، إنما يحتاج إلى التقويم والتربية ، فيكون الإصلاح هنا رعاية وتربية ، وقد لا ينقصه هذا ولا ذلك ، إنما تكون حاجته أشد ما تكون إلى العطف والحنو والإحساس بالأبوة ، فيكون الإصلاح إشباع ذلك عنده ، وقد يكون الإصلاح في تقويم زيغه أو اعوجاجه ، فعَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مِمَّ أَضْرِبُ مِنْهُ يَتِيمِي؟ قَالَ: (مِمَّا كُنْتَ ضَارِبًا مِنْهُ وَلَدَكَ غَيْرَ وَاقٍ مَالَكَ بِمَالِهِ)[1]، فالنبي (صلى الله عليه وسلم) يطلب من السائل أن يعامل اليتيم معاملة ولده ، فينظر إلى ما يصلحه ويقوّمه ويشد عضده ، ومن هنا تلتقي البلاغة النبوية في إيجازها ووفائها بالمراد مع النص القرآني ، وإن كان الحديث النبوي قد ركز على جانب واحد من جوانب الإصلاح ، وهو التأديب والتقويم ، فإن الإصلاح في النص القرآني هو الكلمة الجامعة لما يحتاج إليه اليتيم وما يصلحه.

٢. كلمة "حَنِيذٍ " في قوله تعالى : {فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ}[2].

قوله تعالى : " فَمَا لَبِثَ " يفيد اعتناء إبراهيم (عليه السلام) بضيوفه وإسراعه في إعداد الطعام وتقديمه لهم ، وقوله تعالى: " جَاءَ بِعِجْلٍ " مع

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ، باب في الأمانات ، حديث رقم ٤٨٨٢ .

(٢) هود : ٦٩ .

أن ضيوفه كانوا على ما قال ابن عباس وابن جبير : ثلاثة فقط ، أو كانوا اثني عشر على أقصى عدد ذكره المفسرون ، فجاء إبراهيم (عليه السلام) لهم بعجل مع علمه أنهم لا يأكلون ربعه أو عشره ، زيادةً في إكرام الضيف ، إذ يستحب أن يقدم للضيف فوق ما يأكل عادة حتى لا يكون فى حرج من نفاد ما يقدم له من طعام.

ووصف العجل هنا بأنه " حَنِيذٍ " وفي "سورة الذاريات" بأنه {فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ}[1] ، من باب التنويع الأسلوبي ، والجمع بين الوصف العام والوصف الخاص ، فبين كلمتي " سَمِينٍ " و" حَنِيذٍ " عموم وخصوص مطلق ، فكل حنيذ سمين ، وليس كل سمين حنيذًا ، فالحنيذ هو : السمين الذى يقطر ودكه ، (أي : شحمه ودهنه) ، وقيل: السمين المشوي ، بالرضف ، (أي : الحجارة المحماة في أخدود أو نحوه) ، وكل ذلك إنما يدل على شدة كرم أبي الأنبياء إبراهيم (عليه السلام).

٣. كلمة " قائمة " في قوله تعالى :{ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَت فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ }[2].

والمراد بقوله تعالى : " قائمة " كما ذكره أكثر المفسرين وأخرجه ابن أبى حاتم عن مجاهد " أنها كانت قائمة في الخدمة ، أي في خدمة ضيوف إبراهيم (عليه السلام) ، وذلك مع تقدم سنها ، حيث ذكر بعض المفسرين أنها كانت في التاسعة والتسعين ، وذلك يدل على علو همة آل بيت إبراهيم

---

(١) الذاريات : ٢٦ .

(٢) هود :٧١ .

(عليه السلام) جميعًا فى كرم الضيافة والاعتناء بأمر الضيوف ، ونذكر هنا قول حاتم الطائي[1] :

وإنّي لعَبْدُ الضّيفِ ، ما دام ثاويا

وما فيَّ إلاّ تلكَ من شيمةِ العَبدِ

وذكر بعض المفسرين : أن قيامها كان من وراء ستار ، وذكر بعضهم : أن نساءهم كانت لا تحتجب ولا سيما العجائز، وقد كانت (رضي الله عنها) عجوزًا ، وغني عن الذكر أنها كانت فى زي المؤمنات الصالحات.

أما ضحكها فقيل: إنه كان سرورًا بإهلاك أهل الفساد من قوم لوط ، وقيل: من غفلة قوم لوط مع قرب عذابهم ، وقيل: تعجبًا من إمساك الأضياف عن الأكل ، حيث قالت : عجبًا لأضيافنا نخدمهم بأنفسنا ولا يأكلون طعامنا.

٤. كلمة " فَاسْتَعْصَمَ " في قوله تعالى : { وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ }[2].

فكلمة "استعصم" هي المعادل اللغوي الأدق لتصوير عفة يوسف (عليه السلام) ، ووقوفه كالجبل الشامخ الأشم في مواجهة إغراء امرأة العزيز له ، فهو لم يعتصم بحبل الله فحسب ، لكنه استعصم .

وإذا كانت زيادة المبنى زيادة في المعنى ، فإنه قد قابل زيادة إغرائها تارة وتهديدها أخرى بمزيد من الاستعصام بحبل الله المتين .

---

(١) ديوان حاتم الطائي ، ص : ١٩ .

(٢) يوسف : ٣٢ .

يقول الزمخشري : إن الاستعصام بناء مبالغة تدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد ، كأنه في عصمة وهو مجتهد في الاستزادة منها ، بل إن يوسف (عليه السلام) قد قابل تهديدها له بالسجن بدعائه ربه (عز وجل) أن يصرف عنه كيدهن حتى لو كان ذلك بإلقائه في السجن ، حيث قال – كما تحدث القرآن الكريم على لسانه : { رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ}[1] [2].

فقد طلب يوسف (عليه السلام) العصمة واستمسك بها في صلابة ورباطة جأش حتى استجاب له ربه ، وهو ما يصوره قول الحق سبحانه وتعالى : {فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }[3].

٥. كلمة " فَانتَبَذَتْ " وكلمة " فَأَجَاءهَا " في قوله تعالى في سورة مريم (عليها السلام) : { فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا}[4] .

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري ، ج٢ ص ٤٦٧ ، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الثالثة .

(٢) يوسف : ٣٣ .

(٣) يوسف : ٣٤ .

(٤) مريم : ٢٢-٢٦ .

في هذه الآيات فوائد ونـكات علمية وبلاغية كثيرة ، منها:

أ- التعبير بلفظ " انتَبَذَتْ "، ولم يقل قصدت أو طلبت ، وإنما اختار النص القرآني لفظًا يُعادل الحالة التي كانت بينها وبين قومها ، وهي حالة النبذ لها ، والرفض لما بدا عليها من علامات الحمل ، وهو ما تجلّى في قولهم لها : { يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا }[1].

ب- { فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ }[2] .

جـاء التعبـير بلفـظ " فأجاءهـا " بمعنـى ألجأهـا إلجـاءً واضـطرها اضطرارًا ، حيث كانت تريد أن تتوارى عن أعـين القـوم ، ثـم إن المخـاض وهو إرهاصات الولادة يكون من أصعب لحظاتها ، فكأنهـا تتحـرك حركـة عفوية لا إرادية من الألم النفسي من جانب ، والألم الجسدي من جانب آخر، وكان الإلجاء أو اللجوء إلى جذع النخلة ، حيث كانت وحيدة فريدة تحتـاج إلى شيء قائم صُلب تُمسك به أو تستند إليه ، حيث فقدت من تستند إليـه أو من يحنو عليها من عالم البشر، فقالت : { يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْـيًا مَّنسِيًّا }[3].

٦. كلمة "الحية" في قوله تعالى:{قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى* فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ

---

(١) مريم : ٢٨ .

(٢) مريم: ٢٣ .

(٣) مريم: ٢٣ .

تَسْعَى}[1] ، والثعبان في قوله (عز وجل) في سورة الأعراف : { فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ}[2].

والفارق بين الحية والثعبان واضح ، ومشاهد ، ومعروف ، فإن الحية ضئيلة الحجم قوية السم ، يقول النابغة الذبياني:

فبـــتُّ كـــأني ســـاورتني ضـــئيلة

مـن الـرقش في أنيابهـا السـم نـاقع[3]

أمّا الثعبان فمعروف بضخامته ، غير أنّ الحية مع شدة سـمها القاتـل قـد يُستخف بها لصغر حجمها ، حتى إن من رأى حية صغيرة ظن أنه قادر على الفتك بها ، أمّا الثعبان الضخم فإنه مخيف بطبعه لأول وهلة ، لكن قد يخطـر ببال من يراه أنه قادر على الهروب والإفلات منه لبطء حركته ؛ لأن الشـــيء كلما ضخُم حجمه قَلَّت حركته ، وعندما جـاء السـحرة بسـحرهم أمـر الله تعالى سيدنا موسى (عليـه السـلام) أن يرمـي العصـا ، فصـارت ثعبانًـا في ضخامتها كأضخم ما يكون من الثعابين التي لم يشهدها أحد من قبل ، ومع هذه الضخامة كانت حيـة في حركتهـا وخفتهـا ونشـاطها وسرعتهـا ، فلـو كانت ثعبانًا ضخمًا بطيء الحركة ما استطاع أن يلقف حبـالهم وعصـيهم في

---

(١) طه : ٢٠ ، ٢١ .

(٢) الأعراف: ١٠٧ .

(٣) ديوان النابغة الذبياني ص ٥٨، وهو : زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن مرّة بن عوف بن سعد، الذبياني، الغطفاني المتوفى ٦٠٥ م.

لحظات يسيرة ، وكذلك لو كانت حية صغيرة ربما استهان بها السحرة ، فلما رأى السحرة هذه العصا في سرعتها وضخامتها علموا أن هذا ليس سحرًا ، ولا يمكن أن يقع هذا في باب السحر ، {فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى}[1] ، ولهذا لمّا نظر النص القرآني العظيم إلى جانب الضخامة ، قال عنها : { فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ }[2]، ولما نظر إلى جانب الخفة والسرعة والحركة ، قال عنها : {فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى}[3] ، أما قوله تعالى : {قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى}[4] ، أي سنردها مرة ثانية عصا كما كانت .

٧. كلمة " القانتين" في قوله تعالى في قصة مريم (عليها السلام) : { وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ }[5].

يقول النّحويون : إنّ جمع المذكر السالم قد يطلق على جمع المؤنث على سبيل التغليب ، لكنّ النحويين والأصوليين يتفقون على أنّ ما جاء على أصله لا يُسأل عن علّته ، وما جاء على خلاف الأصل فلا بد لخروجه على هذا الأصل من علّة .

---

(١) طه: ٧٠ .

(٢) الأعراف: ١٠٧ .

(٣) طه: ٢٠ .

(٤) طه: ٢١ .

(٥) التحريم :١٢.

ونؤكد أن هذه الآية واختيار هذا اللفظ نكتة علمية بلاغية في العدول عن صيغة جمع المؤنث " القانتات " إلى صيغة المُذكّر " القانتين " ، وذلك أنّ خدمة دور العبادة لم تكن تعهد إلى النساء قط ، ولذا عندما وضعت امرأة عمران ابنتها مريم (عليها السلام) قالت : { رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ }[1]، فلمّا قامت مريم (عليها السلام) بخدمة بيت الرب خير قيام ، وقامت مقام خيرة الرجال في هذه الخدمة ، راعى النص القرآني البعد الدلالي المعنوي للكلمة ، للتأكيد على أنها أدت دورًا مهمًا لا يقوم به إلا الرجال الأقوياء المخلصون ، بل قد لا يقوى عليه كثير من الرجال ، حيث يقول الحق سبحانه: { وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى} أي : وليس الذكر الذي كنت تتمنين كالأنثى التي رزقك الله (تعالى) بها ، فهي خيرٌ من كثير من الرجال في برّها وتقواها وخدمتها لبيت الله ، ومن هنا استحقت مريم (عليها السلام) أن تكون في عداد "القانتين" لأنها قامت بما يقوم به الرجال ، ولم يعهد في زمانهم أن تقوم به النساء .

* * *

(١) آل عمران : ٣٦ .

ثانيا : بلاغة التراكيب :

إذا كان القرآن الكريم تحدث عن بلاغة المفردة اللغوية التي لا نستطيع أن نأتي مكانها بأي كلمة أخرى فقد تحدث عن بلاغة التراكيب أيضا، ومنها:

١- قوله تعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام) : { رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءامِنًا}[١]، و { رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا الْبَلَدَ ءامِنًا }[٢].

ففي الآية الأولى الكلام عن واقع معين ، حين زار إبراهيم (عليه السلام) المكان قبل أن يصبح بلدًا ، فدعا (عليه السلام) لهذا المكان أن يكون بلدًا وأن يكون آمنًا ، فـ"بلدًا " مفعول ثان لـــ " اجعل" ، و " آمنًا " صفة لـ " بَلَدًا ".

أما في الآية الثانية فقد دعا إبراهيم (عليه السلام) للبلد أن يكون آمنًا، وذلك بعد أن صار " بلدًا " ، فكلمة " البلد" بالألف واللام بدل من اسم الإشارة ، و " آمنًا " هي المفعول الثاني لـ " اجعل".

ففي سورة البقرة دعا إبراهيم (عليه السلام) للمكان بدعوتين : الأولى: أن يكون بلدًا ، والأخرى: أن يكون آمنًا ، أما في سورة إبراهيم (عليه السلام) فقد دعا للمكان بعد أن صار بلدًا أن يكون آمنًا ، تأكيدًا منه على مطلب الأمن لأهل هذا البلد، وهو ما استجاب له رب العزة، فقال سبحانه

---

(١) البقرة : ١٢٦ .

(٢) إبراهيم : ٣٥ .

وتعالى : {... أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ... } [1].

٢- في قوله تعالى: { وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ الله وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا}[2].

ففي قوله تعالى : { وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ } قدم الصغير على الكبير للاهتمام به ، ولتسامح الناس فيه غالبًا ، وعدم انشغالهم بكتابته ، فإذا جاء الأمر بكتابة الدين القليل أو الصغير والنهي عن السآمة من كتابته أولا كانت العناية بكتابة الكثير أولى ، وذلك حتى لا يضجر أحد أو يضيق بكتابة الدين دائنًا كان أم مدينًا ، صغيرًا كان هذا الدين أم كبيرًا .

" ذَلِكُمْ أَقْسَطُ " أي أعدل وأقوم للشهادة ، وأدعى إلى عدم الشك والريبة في قيمة الدين ، أو في نية المدين للسداد ، أو في الأجل المحدد لسداد الدين ، فهو أقطع لكل أوجه الخلاف ، وأدعى لطمأنينة القلب لدى الطرفين ، وقد حملت الإشارة بـ " ذَلِكُمْ " كل هذه المعاني .

والعاقل من يتجنب الدَّيْن إلا للضرورة القصوى ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : { وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْ أَنَّ رَجُلًا قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله ، ثُمَّ عَاشَ ، ثُمَّ قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله ، ثُمَّ عَاشَ ، وَعَلَيْهِ دَيْنٌ ، مَا دَخَلَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَقْضِيَ دَيْنَهُ }[3] .

---

(١) القصص : ٥٧ .

(٢) البقرة : ٢٨٢ .

(٣) مسند أحمد ، ج ٣٧/ ص ١٦٣ ، حديث رقم ٢٢٤٩٣ .

٣- قوله تعالى على لسان زكريا (عليه السلام) : { قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا }[1]، وفي الآية العاشـرة من سورة مريم: { قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا}[2].

ذلك أن أيام العرب وشهورهم وسنيَّهُمْ قمرية ، فالليل في حسابهم يسبق النهار ، ففي التاسع والعشرين من شعبان نترقب هلال رمضان ، فإذا ظهر هلال رمضان كانت أول ليلة من ليالي رمضان ، ثم يعقبها أول يوم منه، وهكذا في هلال شوال وسائر الشهور .

وسورة "مريم" التي جاء فيها ذكر الليالي مكية ، وسورة "آل عمران" مدنية ، وسورة "مريم" سابقة في نزولها لسورة " آل عمران"، فجعل السابق للسابق واللاحق للاحق .

٤- قوله تعالى : { وَجَعَلُوا لله شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ}[3] ، ففـي تقـديم كلمـة " شركـاء " على كلمة " الجن " في هذه الآية فائدة جليلة ومعنى مقصود لذاته لا سبيل إليه مع التأخير ، يقول الإمام عبد القاهـر : وبيان ذلـك أننـا وإن كُنـا نـرى جملة المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجـن شركـاء وعبـدوهم مـع الله تعـالى ،

---

(١) آل عمران : ٤١ .

(٢) مريم : ١٠ .

(٣) الأنعام : ١٠٠ .

وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم ، فإن تقديم الشركاء يفيد هذا المعنى ويفيد معنى آخر ، وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا من غير الجن ، وإذا أخر فقيل : جعلوا الجن شركاء لله لم يفدْ ذلك ولم يكُن فيه شيء أكثر من الإخبار عنهم بأنهم عبدوا الجن مع الله تعالى ، وأما إنكار أن يعبد مع الله غيره ، وأن يكون له شريك من الجن وغير الجن فلا يكون في اللفظ مع تأخير الشركاء دليل عليه .

ففي حالة تقديم الجن على شركاء يتوجه الإنكار إلى كون الجن شركاء لله، فيكون خاصًّا بذلك ، دون التعرض إلى وجود شركاء غير الجن لا بالإثبات ولا بالنفي ، أما في حالة تقديم شركاء على الجن فيكون الإنكار متوجهًا إلى مطلق اتخاذ شريك لله سواء من الجن أم من غيرهم ، ويدخل اتخاذ شريك لله سواء من الجن أم من غيرهم في هذا الإنكار ، ثم يأتي ذكر الجن بعد كلمة " شركاء" ليتوجه إليه الإنكار مرةً أُخرى على سبيل الخصوص ، فيكون النص القرآني قد أنكر عليهم اتخاذهم لله (عز وجل) شركاء من دونه سواء من الجن أم من غيرهم ، ثم زادهم إنكارًا أو توبيخًا على خصوصية اتخاذهم الجن شركًا لله ، تعالى الله عن إفكهم وشركهم علوًّا كبيرًا.

وفي هذا كله تأكيد على تنزيه الله (عز وجل) عن أن يكون له أي شريك، وتأكيد على الاعتماد عليه وحده ، وحسن التوكل عليه ، والاستعانة به وحده دون أحد من الخلق.

وفي قوله تعالى: {وَجَعَلُوا لله شُرَكَاءَ الْجِنَّ }ليس بخافٍ أن لتقديم الشركاء حُسنًا وروعةً ومأخذًا من القلوب لا تجد شيئًا منه إن أخّرت فقلت: وجعلوا الجنَّ شركاء لله ، وذلك لأنك لو قدمت فقلت : وجعلوا الجنَّ شركاء لله ، لكان الإنكار منصبًا على أن يكون الجن شركاء لله ، أمّا لو قلت : وجعلوا شركاء لله الجن ، لكان الإنكار مؤكدًا مرتين :

الأولى : إنكار اتخاذ أي شريك مع الله (عز وجل) من الجن أو من غيرهم .

والأخرى : إنكار أن يكون الجنُّ شركاء لله من باب ذكر الخاص بعد العام ، لشدة تعلقهم بالجنِّ ورهبتهم منه .

وهذا المعنى أقوى وأبلغ وأقطع في نفي أي شريك لله (عز وجل) سواء من الجن أم من غيرهم .

وإذا تيقن الإنسان أنه لا شريك لله (عز وجل) لا من الجنّ ولا من غيره اتجه قلبه وعقله إلى الله وحده ، فلا يخاف إلا من الله (عز وجل) ، ولا يعتمد إلا عليه ، فلا يغش ، ولا يكذب ، ولا يخادع ، لثقته أن الأمور كلها بيد الله وحده ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، يقول الحق سبحانه : { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }(1) .

٥- وفي قوله تعالى : {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى الله رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}(2)، تأكيد على أن مسألة الرزق

---

(١) يس : ٨٢ .

(٢) هود: ٦ .

مردهـا إلى الله (عــز وجــل) وحــده ، لا تجـــري عـلى قــدر العقـــول والأفهــــــام ، يقول أبو تمام الطائي[1] :

لو كانت الأرزاق تجري على الحجا

هلكن إذن من جهلهن البهائم

ويقول الإمام الشافعي (رحمه الله) :

وَمِنَ الدليل عَلَى القَضَاءِ وحكْمِـهِ

بؤسُ اللبيبِ وطيبُ عيشِ الأحمقِ[2]

ومع أن السعي والأخذ بالأسباب مطلوب ومشـروع فـإن الأمـر كلـه في ضمانة رب العالمين وحده ، وجاء لفظ "دابة" نكرة لإفادة العموم ، والنكرة فى سياق النفي تعم ، واستخدم النص القرآني أسلوب التوكيد بطريق النفـي والاستثناء وهو أعلى طرق القصر في قوله تعالى : { وَمَا مِـنْ دَابَّـةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى الله رِزْقُهَا وَيَعْلَـمُ مُسْـتَقَرَّهَا وَمُسْـتَوْدَعَهَا كُـلٌّ فِي كِتَـابٍ مُبِـينٍ }[3]، تأكيدًا على أنـه مـا مـن دابـة في الـبر، ولا في البحـر، ولا في الأرض، ولا في السماء فيما نعلم وفيما لا نعلم إلا على الله رزقها ، وهـذا يطمئننـا إليـه أيضـا نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) حيـث يقـول: (.. وَإِنَّ الـرُّوحَ الْأَمِـينَ قَـدْ نَفَثَ فِي رَوْعِيَ أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ) [4]،

---

(١) أدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي ، ص ٣٣ .

(٢) ديوان الإمام الشافعي ، ص ٧٥ .

(٣) الأنعام : ٣٨ .

(٤) شعب الإيمان، باب في التوكل ، حديث رقم ١١٤١ .

وفى التتميم بقوله تعالى : (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا) فائـدة أخـرى ، يقول سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) : إن مستقرها حيث تأوي ومستودعها حيث تموت ، وعليه يكون المعنى يعلم مستقرها حيث تكون ليسوق إليها رزقها حيث كانت في البر ، أم في البحر ، أم في الجو ، ويعلم مستودعها أي مكان موتها ، فالموت مقدر زمانًا ومكانًا ، ولن تموت نفس حتى تستوفي أجلها ، ويكون ذلك في المكان والزمان الذي علمه وحده رب الخلائق كلها .

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال : مستقرها الأرحام ومستودعها حيث تموت ، أي أن الله (عز وجل) يعلم مكانها ومستقرها أول ما تحتاج إلى الرزق وهي لا تزال في الرحم ، ومستودعها حيث تموت ، حيث يساق إليها قبل موتها آخر ما تحتاج إليه من الرزق [1].

وتنوين "كلٌّ" في قوله تعالى:{كُلٌّ فِى كِتَابٍ مُبِينٍ}[2]، للعوض ، والتقدير : كل ذلك من رزق كل دابة ، وعلم مستقرها ، وسوق رزقها إليها فيه ، وعلم مستودعها حيث تموت كل ذلك في كتاب مبين ، { لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى}[3].

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ، ج ١٥/ ص ٢٤١ ، حديث رقم ١٧٩٦٢ ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ط: مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

(٢) هود : ٦ .

(٣) طه : ٥٢ .

٦- قوله تعالى: {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ * إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَـئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}(١).

أ- عبّر النّص القرآني في جانب الرحمة والنعماء بلفظ الإذاقة للتأكيد على أنّ النعمة قد وصلت إلى الإنسان ، وذاق حلاوتها ، واستمتع بها ، طال الزمن في ذلك أم قصر ، أما في جانب الضراء فقد عبر الحق سبحانه بكلمة "مسّته " للإشعار بأنّ الضرّاء كانت في أدنى درجاتها ، فقد مسّته مجرد مس، وهو أدنى درجات الالتقاء أو الملاقاة ، وفي ذلك من اللطف الإلهي ما لا يخفى ، وتأكيد على أنّ الإنسان خلق ضعيفًا ، وأنه { إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ}(٢).

ب- في إسناد الإذاقة إلى الله (عزّوجل) تأكيد على أنها فضل نعمة مساقة من الله إلى عباده وخلقه ، أما المس فقد أسند إلى الإنسان ؛ لأن العقاب بإزالة النعم والحرمان منها إنما يكون لتقصير الإنسان في شكرها ، يقول الحق سبحانه : {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}(٣) ، وقد يكون ذلك ابتلاءً واختبارًا ، فمن رضي فله الرضا

---

(١) هود : ٩-١١ .

(٢) المعارج : ٢٠- ٢٣.

(٣) إبراهيم : ٧ .

ومن سخط فله السخط ، وهذا ما يشير إليه حديث نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)[١].

ج- في التعبير بقوله تعالى: " نزعناها " دون غيره ، كنحو : سلبناها أو أزلناها أو أخذناها ، ما يدل على شدّة تعلق الإنسان بالنعمة وحرصه عليها كما هو الحال في شأن الملك، وهو ما يبينه قوله تعالى : { قُلِ اللهمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[٢] ، فالإتيان فيه سهولة ويسر ، وفي النزع دلالة على شدة تعلق المنزوع منه بالمنزوع .

د- استخدم النص القرآني صيغ المبالغة :"يئوس" ، " كفور"، " فرِح " ، " فخور " للدلالة على شدة اليأس وكفران النعمة عند هذا النوع من البشر في الحالة الأولى التي هي زوال النعمة عنه ، وشدّة الفرح وهو هنا بمعنى البطر والأشر والاستعلاء على الناس في الحالة الثانية التي هي سوق النعمة إليه ، إلا من استثناه الله (عزّ وجل) وهم الذين صبروا في الضراء وشكروا في النعماء .

---

(١) صحيح مسلم ، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ ، بَابُ الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ ، حديث رقم ٢٩٩٩.
(٢) آل عمران : ٢٦.

٧- في قوله تعالى : {وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِن الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِن أَمْرِ الله إِلاَّ مَن رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِن الْمُغْرَقِينَ}[1].

فقد قال سبحانه وتعالى على لسان نوح (عليه السلام): {لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ الله إِلَّا مَنْ رَحِمَ} ولم يقل لا عاصم اليوم من الماء ، تأكيدًا على أن الله (عز وجل) إذا أراد أمرًا -أيّ أمر- فلا معقب لحكمه ولا راد لأمره أو قضائه : {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}[2]، فليس الأمر أمر الماء والجبل فقط ، إنما هو مشيئة الله بإهلاك الظالمين والخارجين على منهجه وشرعته ، فأراد نوح (عليه السلام) أن ينبه ابنه على خطئه في تسميته ماء وتوهمه أنه كسائر المياه التى يمكن أن يتخلص الإنسان منها بالهرب أو اللجوء إلى قمة جبل أو نحوه ، وذكر كلمة "اليوم" للتنبيه على أنه ليس كسائر الأيام التي تقع فيها الوقائع وتلم الملمات المعتادة التي ربما يتخلص منها بالالتجاء إلى الأسباب العادية أو البشرية ، إنما هو يوم خاص فيه عذاب غير مردود عن الكافرين والظالمين ، ولا نجاة فيه بأي سبب إلا بسبب واحد ؛ هو التعلق بحبل الله المتين والاعتصام برحمته (عز وجل) ووعده لعباده المؤمنين .

---

(١) هود : ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) يس : ٨٢ .

٨- في قوله تعالى: {وَلَقَد جَاءَت رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ}[1].

في قوله تعالى : "قالوا سلاما " تعبير بالجملة الفعلية أي سلمنا سلاما أو نسلم سلاما ، أما قوله تعالى: " قال سلام " فمقول القول جملة اسمية ، والتقدير سلام عليكم أو عليكم سلام ، والتعبير بالجملة الاسمية يفيد الثبات والاستقرار ، فإذا قلت: قام محمد ، فقد يكون قام ثم جلس ، أما إذا قلت : محمد قائم فهذا يعني أنه قائم ومستقر فى قيامه مستمر فيه ، فرد إبراهيم (عليه السلام) بالجملة الاسمية يفيد أنه حيّاهم بتحية أحسن من تحيتهم لما فى ذلك من الثبات ، وهو حق للضيف ، واستجابة لقوله تعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَو رُدُّوهَا إِنَّ الله كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا}[2].

٩- قوله تعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام) : { فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }[3] .

لم يستخدم النص القرآني طباق السلب فلم يقابل " فَمَنْ تَبِعَنِي " بمن لم يتبعني ، واستخدم طباق الإيجاب في قوله : " وَمَنْ عَصَانِي " ؛ لأنه لو قال ومن لم يتبعني لشمل الحكم من بلغته دعوته (عليه السلام) ومن لم تبلغه

---

(١) هود : ٦٩ .

(٢) النساء : ٨٦ .

(٣) إبراهيم : ٣٦ .

هذه الدعوة ، أما حين قال : "وَمَنْ عَصَانِي" فقد اقتصر الأمر على من بلغته الدعوة وعصى ، وهذا من رحمة الله بعباده ، حيث يقول سبحانه : {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا }[1]، غير أنه تبقى مسئولية كبيرة على الدعاة في البلاغ المبين وتوصيل رسالة خاتم الأنبياء محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى العالمين.

١٠- قوله تعالى : {فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا}[2] .

فالعطف بالفاء في قوله تعالى : { فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا}[3] للتأكيد على لُطْف الله (عز وجل) ورحمته بعباده ، ففي اللحظة التي وصل فيها الأسى عندها إلى مداه ، وضاقت عليها الأرض بما رحبت ، كان اللطف والرحمة { قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا}، وهُزّي هذه النخلة التي كانت جافة يابسة تساقط عليك رطبًا جنيًّا .

وفي الحديث عن وجود الماء والتمر جاء ذكر الماء أولا: {قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا }، أي نهرًا أو جدولا عذبًا ، ثم جاء ذكر التمر ثانيًا في قوله

---

(١) الإسراء : ١٥ .

(٢) مريم : ٢٦ .

(٣) مريم : ٢٤ .

تعالى : { وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا }[1]، أما في الحديث عن ترتيب تناول الطعام والشراب ، فقد جاء ذكر الطعام أولاً والشراب ثانيًا ، { فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا } ، فما سر تقديم الماء في الأولى وتأخيره في الثانية ؟ .

جاء ذكر الماء أولاً في الأولى لأنّ حاجة النفساء إليه أعم وأهم ، فهي تحتاجه للتطهير والغُسْل والشراب ، وحاجتها إليه للتطهير أشد ، كما أن من يأكل الرُطَب يحتاج في الغالب إلى الماء جانبه ، فكان وجود الماء أولاً لتأكل وهي مطمئنة إلى وجود حاجتها من الماء .

أما الثانية : فقدم الأكل جريًا على النسق العربي في نحو قولهم : كل واشرب ، يقول الحق سبحانه وتعالى : { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا }[2]، وفيه أيضًا تأكيد على أهمية التمر بالنسبة للنفساء لسهولته على المعدة في الهضم وفوائد أخرى عديدة .

وذكر بعض أهل العلم نكتة علمية في لفت النظر إلى الأخذ بالأسباب في قصة مريم (عليها السلام) ، فقالوا : إن من أوجد لها جدول الماء وأثمر لها جذع النخلة بالرُطَب الجني كان قادرًا على أن يُرسل إليها التمر على طبق من ذهب أو فضة ، لكنه سبحانه وتعالى قال لها : { وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا }، تأكيدًا على أهمية العمل وضرورة الأخذ

(١) مريم : ٢٥ .

(٢) الأعراف : ٣١ .

بالأسباب ، فقال الشاعر:

ألـــم تــرَ أنّ الله قـــال لمـريــــــمَ

وهزي إليكِ الجذعَ تساقط الرطبُ

ولـــــو شــاءَ أنْ تجنيــهُ من غير هزّةٍ

جنتــه ولكـــن كل شيء لهُ سبــبُ[1]

كما علّق بعض أهل العلم على حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا)[2]، فقالوا: إنّ الطير تأخذ بالأسباب فتغدو جوعى وتروح وقد رزقت لسعيها ، ولم تمكث وتبقَ في أوكارها أو أعشاشها ، فليتنا نتعلم من الطير سعيها وتبكيرها ، والغدو هو السير في أول النهار ، والرواح هو العودة في آخره ، وقد حثنا الإسلام كتابًا وسنةً على السعي والعمل ، فقال الحق سبحانه : {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ }[3]، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ الله دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ)[4].

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور الثعالبي ، ص : ٥٩٠ ، رقم ٩٧٦، ط: دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٥.

(٢) سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب في التوكل على الله ، حديث رقم ٢٣٤٤ .

(٣) الملك : ١٥ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، بَابُ كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ ، حديث رقم ٢٠٧٢ .

١١- قال تعالى : {فَاسْأَلُوهُم إِن كَانُوا يَنطِقُونَ}[1]ولم يقل : فاسألوهم إن كانوا يسمعون ، لأن المعاند هنا يمكن أن يجادل فى قضية السماع ، فيقول لك إن هذه الآلهة تسمع بل ترى لكنها لا تريد أن تجيب الآن ، لكنه لا يستطيع أن يحاجك فيقول إنها تنطق ، ومن هنا طلب منهم إبراهيم دليلاً لا سبيل إلى وصولهم إليه ، وهو نطق هذه الآلهة إن كانت تنفع أو تضر ، وبما أنها لا تستطيع أن تنطق ، ولا يستطيع أحد أن يمارى فى ذلك ، فإن عجزها صار بينا وصار حمقهم فى عبادتها أبين منه .

١٢- قوله تعالى: {قَالَ بَل فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هَذَا فَاسْأَلُوهُم إِن كَانُوا يَنطِقُونَ}[2].

ففى قوله تعالى: {قَالَ بَل فَعَلَهُ كَبِيرُهُم} يقف الكسائى على {فَعَلَهُ}، ويجعل الفاعل مقدرًا ، أى فعله من فعله، وعليه يكون المعنى: فعله من فعله فلا تنشغلوا بالفاعل إنما عليكم أن تفكروا في عجز أصنامكم التي لم تستطع أن تدفع عن نفسها، ثم استأنف فقال: {كَبِيرُهُم هَذَا فَاسْأَلُوهُم إِن كَانُوا يَنطِقُونَ}، وقال بعض المفسرين: إنما علّق النص القرآنى فعل كبيرهم على نطقهم ، أي فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون فاسألوهم ، وجعل جملة {فَاسْأَلُوهُم} جملة اعتراضية.

وقال بعض المفسرين: إن إبراهيم (عليه السلام) سلك في هذه الآية مسلكًا

(١) الأنبياء : ٦٣ .

(٢) الأنبياء : ٦٣.

تعريفيًّا يؤدي إلى مقصده الذي هو إلزامهم الحجة على ألطف وجه وأحسنه، بإسناد الفعل إلى كبيرهم إن كان ينطق ، لينتهي من هذه المحاجة إلى تسليمهم بعجز آلهتهم { لَقَد عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ}(١) .

١٣- قوله تعالى: {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} (٢).

ففي قوله : { فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى} قدم هبة الولد لزكريا (عليه السلام) على إصلاح زوجه ، على أن النظر في ترتيب الأسباب والمسببات العادية يقتضي أن يتقدم إصلاح الزوج على إنجاب الولد ، لكن النص القرآني جاء على خلاف ذلك ، لأن قدرة الله (عز وجل) ومشيئته لا تحدهما أسباب ولا مسببات : { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }(٣) ، فكأنه (عز وجل) يقول : نحن قادرون على أن نهب لزكريا (عليه السلام) أو غيره الولد ؛ سواء أصلحنا له الزوج أم لم نصلحها ، فما هو عجيب مستغرب عندكم إنما هو سهل يسير في جانب قدرة الله (عز وجل) ، وهو ما أجابت به الملائكة زوج إبراهيم (عليه السلام) عندما أبدت دهشتها وتعجبها في مثل هذا الموقف.

---

(١) الأنبياء : ٦٥ .

(٢) الأنبياء : ٨٩ -٩٠ .

(٣) يس : ٨٢ .

وهو ما يصوره القرآن الكريم في قوله تعالى : { وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ الله رَحْمَتُ الله وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ }(١).

إضافة إلى أن تقديم الهبة على الإصلاح تقديم للبشرى ، وهي الأهم في مثل هذا الموقف ، إذ تأتي البشرى أولاً للمتلهف لها ، ثم يأتي بعد ذلك تفصيل الكلام أو ذكر الأسباب وبيان الحال ، وقد أَمَرَنا ديننا الحنيف بالبشرى ، وإدخال السرور على النفس البشرية ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا) (٢).

وفي قوله تعالى : {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ }(٣)، بيان وتعليل لسرعة استجابة الدعاء ، ولما ينبغي أن يكون عليه حال من يرجو إجابة دعائه من حسن الصلة بالله (عز وجل) والمسارعة في الخيرات ، والدعاء سرًّا وعلنًا ، رغبًا ورهبًا ، في قنوت، وخشوع ، وتضرع ، واستكانة لله رب العالمين ، فزكريا (عليه السلام) وآله لم يكونوا يفعلون الخيرات فحسب ، إنما كانوا يسارعون فيها مع ملازمتهم الدعاء سرًّا وعلانية ، رغبًا ورهبًا ، وكانوا لله الأحد خاشعين .

---

(١) هود: ٧١ – ٧٣ .

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب مَا كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْعِلْمِ كَيْ لاَ يَنْفِرُوا ، حديث رقم ٦٩، وصحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير ، حديث رقم ١٧٣٤ .

(٣) الأنبياء : ٩٠ .

١٤- قوله تعالى : {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ الله أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ الله أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ والله يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[1].

أولًا : في قوله تعالى: { لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ } جاء ذكر البيع بعد ذكر التجارة من باب ذكر الخاص بعد العام ، فما قيمة هذا التخصيص ؟

لا شك في أن التجارة بيع وشراء ، وأن الربح عند البيع متحقق ناجز ، وعند الشراء متوقع أو مظنون لا يتم ولا يتحقق إلا عند البيع ، وقد يعرض للسلعة تلف أو كساد سوق أو تغير أحوال ونحو ذلك ، فلا يلزم من نفي إلهاء الشراء الذي هو قسيم البيع نفي إلهاء البيع ، في حين أن من ترك المكسب المتيقن كان ترك المظنون عليه أيسر ، فالتعبير القرآني بذكر البيع بعد التجارة يفيد شدة إقبالهم على الله (عز وجل) ، بحيث لا يشغلهم عنه شيء ولو كان ربحًا متحققًا في أيديهم .

ثانيًا : في قوله تعالى : { وَإِقَامِ الصَّلَاةِ } آثر النص القرآني التعبير بلفظ القيام دون الوقوف لأمرين :

أحدهما : أن القيام يقتضي الثبات والتمهل ، أو الإقامة ونحوها ، يقال : أقام

---

(١) النور : ٣٦ – ٣٨ .

فلان بالمكان إذا لبث فيه واتخذه وطنًا ، وهــذا يعني أن القــائم للصــلاة أو المقيم لها ينبغي أن يعطيها حقها من السكينة والطمأنينة .

الآخر : أن القيام من معانيه العزم ، والمحافظة ، والاهتمام بالأمر ، يقال : قام فلان للأمر إذا تهيأ له واستعد ، وشمر عن ساعد الجد لقضائه ، والإسلام لا يريدها مجرد ركعات خاطفة ، إنما يريدها عبادة تنبـع مـن عقيـدة صـادقة ، فتؤتي ثمرتها في إصلاح صـاحبها ، فتقـوّم سـلوكه ، وتنهـاه عـن الفحشـاء والمنكر ، وهذا لا يتأتّى إلا ممن تهيأ واستعد وأخذ الأمر بجد وعزيمة .

وهنا يتوافق سياق النص مع سياقه القرآني الذي آثر لفظ القيام ومشتقاته دون لفظ الوقوف في جميع المواضـع أو الآيـات التـي تحـدثت عـن الصـلاة وإقامتها ، فقال سبحانه : {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ } [1]، و {وَيُقِيمُونَ الصَّـلَاةَ }[2]، {لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ...} [3]، و { وَأَقِيمُوا الصَّـلَاةَ... } [4] ، {قُـمِ اللَّيْـلَ...}[5]، و{سُجَّدًا وَقِيَامًا ...} [6]، و{ وَالْمُقِيمِينَ الصَّـلَاةَ ..} [7]، إلى غـير ذلـك مـن المواضع .

---

(1) البقرة : ٢٧٧ .

(2) البقرة : ٣ .

(3) إبراهيم : ٣٧ .

(4) البقرة : ٤٣ .

(5) المزمل : ٢ .

(6) الفرقان : ٦٤ .

(7) النساء : ١٦٢ .

ثالثًا : أكدت هذه الآية أن الذين يعمرون بيوت الله ويذكرونه ويسبحونه هم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وهو ما أكدته – أيضًا – آية التوبة بأسلوب القصر : {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ الله مَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا الله فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} [1]، وهو ما يؤكد التئام النسق القرآني ، وانسجام بعضه مع بعض، وتفسيره بعضه لبعض ، وتقوية هذا المعنى لذلك، وارتباطه به ، وإن تباعدت مواضع السور أو الآيات .

رابعًا: لما كان فعل هؤلاء الرجال متميزًا في إخلاصهم لله (عز وجل) ، وتركهم المكاسب الدنيوية ابتغاء رضوانه ، كان عطاء الله لهم خاصًّا ومتميزًا ، فإنه سيجزيهم أحسن ما عملوا، ويزيدهم من فضله ، وفي التذييل بقوله تعالى : { والله يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[2] ما يوحي بأن الله سيعطيهم عطاء لا حدود له ، وسيرزقهم بما لم يكن في حسابهم ، بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

١٥– قوله تعالى : { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ }[3].

---

(١) التوبة : ١٨ .

(٢) النور: ٣٨ .

(٣) الشعراء : ٦٩ – ٧١ .

في جوابهم على قوله: { مَا تَعْبُدُونَ } كان يكفى أن يقولوا: { نَعْبُدُ أَصْـنَامًا} لكنهم أطنبـوا فى الحـديث فـزادوا {فَنَظَـلُّ لَهَـا عَـاكِفِينَ} وهـذا دليـل عـلى تبجحهم فى ضلالهم ، فهم لا يعبدون فقط هذه الأصنام ، إنما يعكفـون عـلى عبادتها، وكان ذلك إمعانا منهم فى التعنت وإشعارًا لإبراهيم (عليه السلام) بعدم نيتهم الاستجابة له أو الانصراف عن عبادة هذه الأصنام.

١٦- قوله تعالى على لسان إبراهيم (عليـه السـلام) : {الَّـذِي خَلَقَنِـي فَهُـوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّـذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ} (١).

فقد جاءت التراكيب " الَّذِي خَلَقَنِي" ، "وَالَّذِي يُمِيتُنِي"، "وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي" بدون ضمير الفصل "هُوَ" ، في حين جاءت التراكيب: " فَهُوَ يَهْدِينِ " ، "هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ " ، " فَهُوَ يَشْفِينِ " ، مشتملة على ضمير الفصل " هُوَ"، وذلك لأن الأفعال الأولى المتمثلة في الخلق والإماتة والإحياء ومغفرة الذنوب لا يجادل فيها أحد ، بل إن أكثر الناس على التسليم المطلق فيها لله (عز وجل) ، أما جانب الرزق المعبر عنه بالإطعام والسقيا ، وجانب الشفاء ، وجانب الهداية إلى الصراط المستقيم فهو مما يغفل كثير من الخلق عن الاعتماد على خالقهم فيه ، وتهتز عند بعضهم فيه قضية التسليم المطلق ، فتجد منهم من يخادع أو ينافق أو يغش ظنًّا منه أن

---

(١) الشعراء : ٧٨-٨٢ .

ذلك قد يجلب له نفعًا في الرزق أو يدفع عنه ضررًا ، ناسيًا أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أجلها ورزقها ، كما أن بعض الناس قد يذهب في مسألة التداوي إلى بعض الدجالين والعرافين والمشعوذين ، فلما كان الحال عند بعض الناس في هذه الأمور ينقصه اليقين المطلق في الله (عز وجل) جاءت هذه الأفعال مؤكدة بضمير الفصل ؛ ليؤكد النص القرآني أن رب الخلق ورب الإحياء والإماتة هو رب الهداية ، هو رب الإطعام ، ورب السقيا ، ورب الشفاء ، فكما أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أجلها ورزقها ، فليس من الإيمان واليقين أن نفوض الأمر لله (عز وجل) في الأمور الأولى ولا نفوضه إليه في الأمور الأخرى ، فهو وحده القادر على هذا و ذاك ، والأمر كله له سبحانه : {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[1].

١٧- في قوله تعالى : { وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [2]، حيث جاءت كلمة "فتحت" غير مسبوقة ولا مقرونة بالواو ، وقوله تعالى : {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا }[3] ، حيث جاءت كلمة " وَفُتِحَتْ" مسبوقة بالواو ، فهذه الواو التي جاءت في قوله تعالى : " وَفُتِحَتْ " في الحديث

(١) يس : ٨٢ .

(٢) الزمر :٧١ .

(٣) الزمر : ٧٣ .

عن أهل الجنة ، قال بعض العلماء والمفسرين: إنها واو الحال ، والمعنى: جاءوها والحال أنها مفتوحة ، وذلك من زيادة إكرام الله (عز وجل) لعباده المؤمنين أن جعل الجنة مفتحة الأبواب ، مهيأة لاستقبالهم قبل قدومهم إليها، والحال ليس كذلك مع أهل النار ، بل إن النار تأخذهم بغتة .

وقال بعض المفسرين واللغويين : إن هذه الواو واو الثمانية، ذلك أن بعض القبائل العربية كانت تعد ، فتقول : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة ، وثمانية ، فتأتي بالواو مع العدد الثامن ، وذكروا لذلك شواهد منها قوله تعالى : { سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ}(١) ، حيث ذكرت الواو مع العدد الثامن ، وقوله تعالى: { التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ}(٢)، حيث ذكرت الواو مع العدد الثامن ، وقوله تعالى : { عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا }(٣) ، حيث ذكرت الواو أيضًا مع العدد الثامن ، مع أن الواو في هذه الآية لها معنى آخر وهو إفادة التنويع ، ولا مانع أن يتضمن الحرف أكثر من معنى.

---

(١) الكهف :٢٢ .

(٢) التوبة : ١١٢ .

(٣) التحريم : ٥ .

وقـــد ذكـــرت واو الثمـــانية في قـــوله تعالى : "وَفُتِحَتْ" في الحديث عن أهل الجنة دون قوله تعالى : "فُتِحَتْ" في الحديث عن أهل النار ؛ لأنّ أبواب النار سبعة لقوله تعالى في الحديث عنها : { لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ }(١)، أما أبواب الجنة فثمانية لقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ اللهمَّ اجْعَلْنِى مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِى مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ)(٢). فلما كانت أبواب الجنة ثمانية أُتي معها بالواو، ولما كانت أبواب جهنم سبعة لم يؤت معها بالواو ، وفي كون أبواب الجنة ثمانية وأبواب جهنم سبعة ما يدل على أن رحمة الله (عز وجل) أوسع من غضبه ، يقول الحق سبحانه وتعالى: { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}(٣).

* * *

---

(١) الحجر : ٤٤ .

(٢) سنن الترمذي ، أبواب الطهارة ، باب فيما يقال بعد الوضوء ، حديث رقم ٥٥ .

(٣) الزمر: ٥٣ .

فهرس الموضوعات



رقم الإيداع :